الدر المنظوم في ذكر محاسن الأمصار والرسوم

تأليف السيد الأمجد حمود بن أحمد بن سيف البوسعيدي



الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

الدُرُّ المنظوم في ذكر محاسن الأمصار والرسوم

تأليف السيد الأمجد حمود بن أحمد بن سيف البوسعيدي

مراجعة وتقديم
د. محمد المحروقي

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

مقدمة المراجع

وحده المسافر يختبر جمال الانتماء وأهمية الأرض الأولى، ويتغلغل بعيداً في اكتشاف ذاته. وبعيداً عن السائد حول مدرسة السفر وفوائدها السبعة التي يمكن أن يجنيها المسافر والمتمثلة في تفريج الهم واكتساب المعيشة وتحصيل العلم وصحبة الأماجد، فإن في السفر تأصيل للانتماء الأول بما يثيره من أشواق إليه عندما تبعد بنا المسافات، وبما يتوفر لنا من فرصة لتأمل بعض أشياء الوطن لم نكن لنتأملها ونحن نرتع في مرابعه أو سهوبه الخضراء أو أراضيه القاحلة، لا فرق بينها جميعاً من جهة الانتماء.

هذه الأشياء قد تكون وجبة غذائية اعتدنا عليها بطقس خاص أو جلسة مع أصدقاء يمنحون اللقاء خصوصيته أو شجرة أو نهراً أو وقتاً ما أو نسمة بواد معين أو رائحة كرائحة طلع النخيل أو صوتاً كصوت هدير الفلج، أو غير ذلك من تجارب شديدة الخصوصية.

استحضر هذه المعاني وأنا أقرأ هذه المادة الفريدة المتصلة بأدب الرحلة الذي هو من أمتع الأجناس الأدبية وأقربها إلى المتلقين جميعاً باختلاف ثقافاتهم ومعارفهم، لما يبرزه من خصوصية وذاتية هي أسمى ما في الأعمال الأدبية. إضافة إلى الجانب الشائق في السرد

ومتعته في استقصاء العجيب والجميل، ربما لا يقترب جنس آخر إلى هذا الفن سوى أدب السيرة الذاتية. ومخطوطة "الدُرُّ المنظوم في ذكر محاسن الأمصار والرسوم" للسيد حمود بن أحمد بن سيف ، ابن محمد البوسعيدي لا تخيب ظن قارئها وتوقعاته بأن يجد مادة بها من الفائدة والتسلية ما يدفعه لمواصلة القراءة حتى الكلمة الأخيرة. وعلى مستوى أسلوب السرد ولغته فإن القارئ سيجدها بحق فريدة في بابها وانعكاساً لثقافات عربية أفريقية صيغت معاً لتبرز الهوية السواحلية بامتياز.

١ – كتاب الدُرّ المنظوم.

انطلقت الرحلة من ميناء بندر زنجبار يوم ٢٥ من شوال سنة ١٢٨٨هـ، بعد صلاة الصبح الموافق ٨ يناير ١٨٧٢م. وكان الكاتب برفقة السلطان برغش بن سعيد بن سلطان البوسعيدي (١٨٧٠– ١٨٨٨) حاكم زنجبار آنذاك، متوجهين إلى الحجاز لأداء فريضة الحج. وهدف الرحلة - كما يؤكد الكاتب - هو إحياء شعيرة السياحة التي هي "من سنن الأنبياء والسادة الأتقياء، وفيها تضرب الأمثال والعبر"، وهذا هو السبب الديني.

وثمة سبب آخر يتصل بفوائد السفر المعروفة مما أشرنا إليه آنفاً في صدر هذه المقدمة من الفوائد العلمية والنفسية التي تعود على السائح. والكاتب يقول فيما يُضمِّن من شعر إن التنقُّل اللُّذيذ الذي يشير إليه الشعراء عادةً لا يقتصر على التنقُّل بين محبوبات عديدات بل يمكن أن يتوسع في مفهومه ليشمل التنقُّل بينُ الأماكن، أي السفر، والعبُ من ملذات كل مكان:

تَنَقَّلْ فلذاتُ الهوى في التَّنَقُّـلِ وَرِدْ كلَّ صافٍ لا تقفْ عندَ منهلِ

ففي الأرضِ أجنابٌ وفيها منازلٌ فلاتبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ

وبعد سفر ثمانية عشر يوماً، أي في ١٤ من ذي القعدة يصلون إلى ميناء بندر جدة بأرض الحجاز، ثم منها إلى مكة المكرمة لأداء شعيرة الحج. ثم إن السلطان برغش يسافر إلى المدينة المنوّرة لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، عائداً إلى جدة فزنجبار.

أما الكاتب فقد بقي في مكة المكرمة "مجاوراً لبيت الله الحرام وزمزم والمقام". ثم يزور في الحجاز مدينة الطائف، ليبدأ بعد ذلك رحلة أخرى تنفتح على بلدان تقع ضمن نفوذ الدولة العثمانية هي مصر التي يزور فيها القاهرة والإسكندرية وبورسعيد، وما كان يعرف بأرض الشام، زائراً فيه دمشق والقدس وبيروت.

ويكشف النص عن إعجاب السيد حمود البوسعيدي بما رأى من مظاهر الحياة العصرية في الأماكن التي زارها مما يتصل بالصناعة والاتصالات والنقل والقصور والحدائق والحياة العلمية الزاهرة، مما يغيب أو يحضر بضعف في البيئة التي قدم منها. وهو يسمي الماكينات عامة بالكرخانة، فيتحدث عن مشاهدته لكرخانة الكتب في القاهرة أي مطبعة الكتب، وأن بها عشرة من العلماء لتصحيح الكتب، ومتحدثاً عن صناعة الورق وطريقتي الطبع المختلفتين؛ بالحجر والرصاص. أما كرخانة السراج فهي المولدات الكهربائية الكبيرة التي راعه كيف أنها تشعل المصابيح في البيوت والطرقات. أما في دمشق فتستوقفه آلة صب الحديد وبرمه، فيقول: "ورأينا فيها كارخانات تعمل الحديد وآلة مراكب الدخان والكراكات التي تحفر البحر، والمحل الذي يصلحون فيه المراكب، وفيها يصبون الحديد مثل الرصاص، وعندهم آلات تقطع الحديد وتبرمه وتسحله مثل الشمع ليس مثل الخشب بل الخشب أقوى منه وهو بارد بلا إدخال النار. تكفي حكمتهم. ولا تسمع له حساً وقت القطع. وشيء من الآلات تطرق الحديد وتشرخ الأخشاب وتقطعه للنجار، وهي تعمل بالنار. وهذه الكرخانات للفرنسيس".

وهو يقف مسجلاً ما يراه في رحلته من أمور عجيبة كما فعل في

حديثه عن أهرامات مصر وخبر بنائها الذي هو كالأسطورة ينقله عن كتب التاريخ، نعرض عن سرده هنا حتى يراه القارئ في محله. ثم ينقل بيتين محكمين لأحد الشعراء يصف فيهما الهرمين اللذين قال أنهما منسوبان لشدَّاد بن عاد:

خليليَّ ما تحتَ السما مِنْ بنيّةٍ   تُماثلُ في إتقانِها هرميْ مصرِ
بناءٌ يخافُ الدهرُ منهُ، وكلُّ ما على   ظاهرِ الدنيا يخافُ منَ الدَّهرِ

وفي الشام يصل يافا أولاً ويروقه تنظيمها إذ هي: "متفردة بشكلها فوق جبل. والبيوت فوق بعضها البعض، وشيء من الطرق يوصل للغرف العالية. وبنيانها أغلبه بالحجارة المنحوتة". ويشير إلى جودة فواكهها وإلى سكانها من النصارى الذين أثنى كثيراً على أقوالهم وأفعالهم الموافقة للمسلمين، ويتعرف هناك على الفرق بين القسيسين والرهبان. فالقسيسون يخالطون الناس في الكنائس وغيرها، والرهبان ينقطعون في الصوامع ولا يخالطون الناس. وتكون بينه وبينهم حوارات عديدة.

ويسافر على الخيل إلى بيت المقدس، فيجدها مدينة كبيرة عليها سور وأرضها غير مستوية، وبيوتها قديمة، وأغلب سكانها نصارى ويهود، والمسلمون بها قليل. ويقدم وصفاً دقيقاً للمسجد الأقصى،

فيقول: "وهو مسجد عظيم لا مثيل له، يعجز الوصف عن وصفه. وفيه محاريب الأنبياء عليهم السلام. ونزلنا أسفله ورأينا بناءه القديم الذي بناه النبي سليمان بن داؤد عليهما السلام، وهو بالحجارة. والبناء الثاني وضع على أساسه السابق، وكل محراب في محله على أساسه، هكذا أخبرونا". ثم يستطرد في وصف جمال بنائه وفخامته.

كما يقدم وصفاً آخر عن كنيسة القيامة التي تعود إلى زمن الجاهلية، وما بها من زينة وزخرف وأواني ذهب وفضة وتماثيل، وينقل ما رأى بأسلوبه الفريد في التصوير: "وزعمهم (أي النصارى) أنه الموضع الذي قتل فيه سيدنا عيسى عليه السلام، ما تركوا شيئاً من ذلك حتى الدم مصور، وموضع ما دفن صورة قبر على حجر مثل الكهرب وعليه شيء كثير مما ذكرته. وصورة سيدتنا مريم في صباها وعليها من اللباس والحلي والجواهر ما لا يوصف. الحاصل أن العقل لا يسع ما رأينا ويعجز الواصف عن وصفه".

كما يشير إلى أمر غريب رآه وتأكّد منه بنفسه، وهو أن قرب قبر النبي موسى كليم الله في الجبال لا يتيسّر الحطب والناس يشعلون الحجر فيوقد ناراً ويطبخون عليه. وقد جرّب الكاتب ذلك الأمر فوجده

صحيحاً، وذلك كرامة من الله لأن تلك الجبال عديمة الشجر. وينقل الكاتب أن هذا الحجر إذا خرج من القدس بطل عمله.

ومن القدس يذهب إلى بيروت التي لا يقيم بها طويلاً ويصفها وصفاً سريعاً، فهي "مدينة طيبة فيها من المأكل الفاخر من الفواكه وغيرها شيء كثير. وأكثر سكانها نصارى ويهود، وبقدر الربع المسلمون فيها، والثلاثة الأرباع كفرة. وفيها جملة أسواق وبيوت فاخرة وبساتين، وأغلب طرقها مفروشة بالحجر. الحاصل أنها بلد حسنة وهواؤها صحيح". ويبدو أن بيروت لم تكن سوى محطة في طريقه إلى دمشق.

وفي عربة تجرها الخيل، يسميها الكروسة، سافر السيد حمود البوسعيدي إلى دمشق، فوجدها "... مدينة عظيمة، وفيها جملة أسواق ومساجد وحمامات، شيءٌ كثيرٌ. وفي أسواقها شيءٌ كثير من بضائع وغيرها من المآكل والمشارب والفواكه الفاخرة شيء لا يوصف. وحولها البساتين، والجبل دائر عليها محدق بها كلجَّة البحر. ويدور الجبل حول البساتين كالسور. وتسقيها سبعة أنهار كبار وتتفرق على جملة أنهار أصغر. وما رأيت بلداً مثلها، كثيرة المياه في كل بيت بركة أو بركتان...". ثم يذكر قِدَمَ البلد والجامع

الأموي فيها، مقدماً وصفاً تفصيلياً عن بنائه. وهي عنده جنة الدنيا، كما يقول، ويصدق فيها قول القائل:

عرِّجْ ركابَكَ عن دمشقَ لأنَّها بلدٌ تذلُ لها الأسودُ وتخضعُ

ما بين جانبِها وبـابِ بريدِهـا بدرٌ يغيبُ، وألفُ بدرٍ يطلعُ

ولا يخفى الغزل في نساء دمشق في البيت الثاني.

ومن الشام يعود المؤلف إلى مصر فالحجاز حيث يبلغ بندر جدة في الأول من شعبان سنة ١٢٨٩ هـ، الموافق ٤ أكتوبر ١٨٧٢ م، ومنها إلى مكة المكرمة حيث ينتهي سرد أحداث رحلته. ولا يذكر كم مدة بقي في جدة، ولا يذكر متى غادر إلى مكة، ولكننا نرجِّح أن مقامه بجدة لم يطل، وما كانت إلا نقطة وصوله البحرية للعبور إلى الديار المقدسة. وقد سبق أن زارها من قبل ولم يطل المكث فيها. ووجدنا من عادته في تأليفه هذا أن يذكر مدة الإقامة حين تزيد وإن قليلاً.

وعندما نحاول التعرف على شخصية الكاتب من خلال رحلته فأول وأبرز سمة هي سمة الالتزام الديني. فبين أيدينا نص لفقيه وقور ممتثل لأوامر الشريعة فيما يأتي ويترك. وقد رأينا أن أهم سبب لرحلته هذه كان سبباً دينياً، إذ هو "... إحياء سنة من سنن الأنبياء والسادة الأتقياء"، كما قال. وهنا نشير إلى أن بداية الرحلة الحقيقية

هي الأراضي المقدسة انطلاقاً من مكة المكرمة، وكذلك كانت نهايتها في مكة المكرمة. فهي بشكل تقريبي سياحة روحية لكسب المعرفة وتعزيز الشعور الديني، ولذا فإنه يهتم كثيراً بزيارة قبور الأنبياء عليهم السلام والصحابة والأولياء الكرام، ذاكراً مشاهداته بتفصيلٍ محبٍ في ثنايا عرضه لخط رحلته. ودلالة على الأهمية المركزية لهذه المزارات نجده يعود ويفرد لها فصل خاصاً يجمع فيها تلك المزارات وأماكنها تسهيلاً للمطالع للكتاب. وعندما لا يتمكن من الوصول إلى بعض المزارات في الشام، نجده يعتذر بشدة عن تقصير اضطر إليه بسبب عارض المواصلات، يقول: "وما بين بيروت ودمشق يذكرون قبور أنبياء منهم إلياس وشيث عليهما السلام وهما في ناحية من الطريق، هكذا أخبرونا لأننا مررنا بعيداً عنها، ولم يمكن لنا الوصول إليها لحثّ[1] أهل الكروسة لا يمكنهم الانتظار، ولأجل ذلك صحَّ لنا مانع، وقرأنا لهم الفاتحة من بُعْدٍ، ونرجو من الله القبول".

وملمح آخر من ملامح شخصية الكاتب مما يفهم من هذه الرحلة هو حب الاستطلاع والنزوع إلى المغامرة المحسوبة في بعض المواقف مما يعطي النص بعداً شائقاً إضافياً. ومن بين تلك المواقف ما يحكيه

---

(١) الحثّ: العجلة.

عن زيارته لقلعة بمصر و البئر التي يذكر أن سيدنا يوسف عليه السلام أُجلس فيها. وهو لا يكتفي بمشاهدتها من الخارج بل ينزل إلى طريقها المظلمة للتحقُّق، يقول: "ورأينا ضرب خانة القروش في القلعة، وكذلك سجن النبي يوسف عليه السلام وهي بئر كبيرة عميقة في القلعة ونزلنا إلى بعضها، ورأينا الموضع الذي كان يجلس فيه النبي يوسف عليه السلام، وهو في جانب من البئر. وطريقها مظلمة ينزلون إليها بالشموع، وهم يجذبون الماء منها للقلعة على راسين من الخيل، لأنها بئر عظيمة هائلة، وماؤها عذب".

ومن ذلك أيضاً أنه في كنيس يهودي عرف أنه في بطن محراب من محاريبه صورة للنبي موسى عليه السلام فتقدم محاولاً كشفها فمنعوه، لأنهم يكشفونها يوم السبت عند عبادتهم فقط.

كما أن الكاتب مولع بالدقة ومقارنة ما يراه في رحلته بما يعهده ويعهده -ربما- قارئه المتخيَّل في زنجبار. ففي وصف خط رحلته نجده حريصاً على ذكر الزمن الذي احتاجه للتنقل بين نقطتين وذكر الوسيلة وقيمة الأجرة التي أنفقها. ثم إنه إلى جانب ذكره ذلك في تضاعيف رحلته نجده يعود في آخر كتابه فيفرد فصلاً يجعله خاصاً لما: "يتعلق بنول البوابير وشروطها وكراء الدواب". ومن بين هذه

المواقف الدالة هو نقله لشروط النقل البحري التسعة وإجراءاته الدقيقة والرسوم الموضوعة للنقل والصحة والجمارك بحذافيرها حتى تكون بين يديّ قارئه.

وفيما يتصل بالمقارنة نجده غالباً يقارن ما يراه بما يعرفه في زنجبار. ومن ذلك وصفه لمدينة القاهرة كما تبدو له من فوق تلة القلعة وعظمتها وكثرة بيوتها، وأن زنجبار في السعة والقيمة عن محلة واحدة في القاهرة التي يسميها -كما جرت العادة- مصراً، يقول البوسعيدي: "ونظرنا البلد كلها من القلعة فوجدناها بلدة عظيمة على الوصف وزيادة. وزنجبار كلُّها ببيوتها في السعة والقيمة عن محلة من مصر على القياس. والحاصل أنها بلدة يكلُّ البليغ عن وصفها، وليس الخبر كالعيان". وهذه المقارنة بزنجبار ليست ناتجة عن أن المؤلف يقارن ما لا يعرف بما يعرف فقط، بل إضافة إلى ذلك أنه يتوجه مباشرة إلى قارئ معين من زنجبار. وربما كان هذا الكتاب موجَّه إلى سلطان زنجبار آنذاك السيد برغش بن سعيد بن سلطان كما جرت العادة مما نجده في مؤلفات مشابهة أخرى مثل "تنزيه الأبصار والأفكار"، حيث يقول جامعه ومرتِّبه القس يحيى لويس صابونجي: "وسلكت في تصنيفه مسلكاً سهل المطالعة قريب المناولة، وجلوته بتصاوير بهيّة تُشَخِّصُ مناظر البلاد وصور الرجال ذوي المناصب والأمجاد،

عسى يحوز القبول بأعين سعادة السيد برغش أعزّه الله"[1]. ولا بد من التذكير هنا أن المؤلف رافق السلطان في بداية الرحلة من زنجبار إلى مكة المكرمة ثم اختلف سيرهما حيث عاد السلطان لمقر حكمه وواصل السيد حمود البوسعيدي أسفاره في الحجاز أولاً ثم إلى مصر والشام، فكأنّه يقدم للسلطان الجزء الآخر من الرحلة الذي لم يشهده.

وهذا الاهتمام بالشأن الزنجباري لا يقتصر على مظهر المقارنة وإنما نجده يبرز خلال نقاشات البوسعيدي مع قساوسة النصارى الذين التقى بهم في يافا، وأعجب أيّما إعجاب بسيرتهم والتزامهم بدينهم التي وجدها موافقة لمقتضيات الشريعة الإسلامية، يقول: " والمذكورون نصارى الشام من العرب ليس بينهم افرنج بل إنهم ملة واحدة، ولباسهم مثل المسلمين. ويتعجب الإنسان من أقوالهم وأفعالهم أغلبها موافقة للمسلمين. واطلعت على تفسير كتبهم؛ بها أحوال كثيرة موافقة للشريعة، وبها مواعظ وحكم". ويسجل بفرح تعرّفه على طبقاتهم المختلفة والفوارق بينها القساوسة والرهبان والبطارقة. ثم إنه يجري معهم حواراً حول تحريم الرقيق وموقف

---

(١) زاهر بن سعيد، تنزيه الأبصار والأفكار في رحلة سلطان زنجبار، (وزارة التراث القومي والثقافة: مسقط ١٩٨١م)، ط١، رتبه وصوبه لويس صابونجي، ص ٢٣٣..

الدين المسيحي منه. يقول في نص تكشف أجواؤه عن تقدير لهم، ويختص -أي النص- بطائفة منهم لهم مذهب في الاغتسال من النجاسة يقترب مما عند المسلمين: "والنصارى المذكورون يذكرون أنهم يستنجون من البول والغائط وكذلك الجنابة لها استنجاء خاص وليس غسل تام. وهم ينكرون على باقي النصارى ويخطئونهم لأنا اجتمعنا بواحد من المتفقهين في دينهم ورأينا منه الإحسان التام، ليته كان مسلماً. ورأينا عندهم جواري سود، وسألناهم عن ذلك، فقالوا: معنا جائز البيع والشراء في الرقيق. قلنا: كيف يمنع الإنجليز ذلك؟ قالوا: فعلهم مخالف للإنجيل، لأن الإنجيل محلل بيع الرقيق، بل الذي يدخل في ديننا نكره بيعه لأنه قد دخل في الدين وصار مثلنا، وذلك لا يخرجه من الرق بل نكره بيعه، وهو ليس بحرام مطلقاً".

وهذه المناقشة تأتي على خلفية المعاهدات التي وقعها السلطان برغش بن سعيد لمنع تجارة الرقيق، مما ترتب على ذلك من خسائر مادية كبيرة على حكومة زنجبار وأتباعها.

وقد بحثنا فلم نجد للسيد حمود البوسعيدي مؤلفاً غير هذا الذي بأيدينا. وحسبنا أن نشير في هذه العجالة إلى ملاحظة لا بد وأن قارئنا الكريم أدركها حتى الآن، من خلال ما أوردناه من نماذج وإن كانت قصيرة من هذه الرحلة، إلى أن لغة الكاتب بعدت كثيراً

عن لغة المصنفات الفقهية ومالت إلى التسهيل وإلى الاقتراب من العامية في كثير من المظاهر اللغوية مما يتصل بالألفاظ وما يتصل بالتراكيب. فالكاتب يستعير ألفاظاً من لهجات الأمصار التي يمرٌ بها ويستخدمها بسلاسة ودون تردد، ومنها على سبيل التمثيل فقط: البرتقان / البرتقال، المزيقة / الموسيقى، الكرنتينة / الحجر الصحي، اللوكانته / المقهى أو المطعم، وهكذا. كما يستخدم ألفاظاً من اللغة السواحلية مما قد يكون له أصول عربية أحياناً، مثل: الحل / زيت الوقود، الماشوة / السفينة، الشامبة / البستان، البندر / المدينة. وتأتي بعض التراكيب من اللهجة العمانية من مثل: ما يحتاج طبيخ ونفيخ / سهل الاشتعال، لاسوجة ولاموجة / البحر هادئ. وهناك ظواهر تركيبية أخرى في النفي والتقديم والتأخير مما يستحق دراسة مفردة. وقد حرصت أن أبقي أسلوب الكاتب دون تغير يذكر إلا أن يكون خطأ نحوياً. ولغته، على الرغم من عدم ألفتها أحياناً، وربما لضعفها اللغوي أحياناً أخرى، إلا أنها تحمل قيمة تاريخية لتبدُّل اللغة وتطورها تأثُّراً بالعوامل الجغرافية والسياسية، وهي بقدر ما تكشف عن الكاتب تكشف عن المجتمع وتنبئنا عنه.

٢- التعريف بالمؤلِّف.

وقد عُرِفَ عن السيد حمود بن أحمد البوسعيدي اهتمامه الشديد بأعمال الخير والصلاح في خدمة المسلمين مدفوعاً بعاطفة الفقيه التقي الجيّاشة، فما يكاد يذكر اسمه إلا وتبادرت إلى الأذهان أوقافه الكثيرة في المصالح العامة وأبرزها بيت الرباط الذي أوقفه للحجاج العمانيين بمكة المكرمة. وهكذا كان أخوه السيد هلال بن أحمد الذي أوقف الأوقاف العديدة للمصالح العامة في عمان، ومن بينهما مسجد الخور بمسقط، الذي كانت تقام فيه الدروس التعليمية.(١)

وقد أخبرني السيد سعود بن حمد بن حماد البوسعيدي(٢) عن مدّ السيد المترجم له هنا أنابيب الماء العذب من منطقة في زنجبار تسمى "مبوبو" على بعد ثمانية أميال إلى المدينة، وأنه أوقف بيوتاً كثيرة لشارع بأكمله في منطقة "درجاني" في زنجبار أيضاً لصيانة هذه الخدمة الجليلة؛ خاصة وأن زنجبار جزيرة يشحُ فيها الماء العذب. ويذكر السيد سعود أن من أعماله الخيرية أيضاً بناء مسجد في "مالندي فرضاني" بزنجبار. وقد وقفت على هذا

---

(١) كما أخبرني بذلك الشيخ أحمد بن سعود السيابي في زيارتي له بمكتبه بوزارة الأوقاف والشؤون الدينية، في يوليو ٢٠٠٦م.

(٢) في لقاء معه بمنزله العامر بمرتفعات القرم، بمسقط مارس ٢٠٠٦م.

المسجد أثناء رحلتي الأخيرة لزنجبار في شهر يونيو سنة ٢٠٠٦م. وهو مسجد عامر قبالة شاطئ البحر المسمّى "فرضاني". وسألت القائمين على المسجد وهما الشيخ سليمان بن خلف بن سنان الجابري والشيخ حميد بن سعيد بن عبدالله بن حميد البحري عن أوقافه إن كانت معلومة لديهم، فقالوا إنهم سمعوا بها ولكنها ضاعت بعد الاضطرابات السياسية العنيفة التي مرت بها زنجبار، "ولله الأمر منْ قبلُ ومنْ بعدُ". (١)

وقد أسهب الشيخ سعيد بن علي المغيري في ذكر مناقب السيد حمود وخصص له فصلاً في كتابه المهمّ "جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار"، بعد أن ذكر السلطان برغش بن سعيد وأعماله الجليلة. يقول المغيري: "إن من أحسن ما ينبغي لنا نزيّن به صفحات هذا التاريخ هو ذكر السيد المحسن الجليل حمود بن أحمد بن سيف البوسعيدي. ويناسب أن نخلّد ذكره بجوار ذكرى مآثر هذا السلطان العظيم، ربِّ المحامد والمكارم السيّد برغش بن سعيد، حيث إن السيد برغش هو نادرة سلاطين زنجبار فكذلك السيّد حمود بن

(١) جلست إليهما في المسجد المذكور، وسألت الشيخ الجابري عن عمره فقال: ثمانون سنة، وهكذا بدا لي عمر الشيخ البحري. يجد القارىء صوراً في آخر الكتاب لهذاالمسجد.

أحمد نادرة رعاياه عرب زنجبار". [1] ثم يذكر المغيري مآثر السيد البوسعيدي وهي وقف بيت الرباط بمكة المكرمة، وأوقاف أخرى بها لخدمة هذا الوقف، ومدرسة لتعليم القرآن، ومسجد جامع بمنطقة بوبوبو، [2] وقصر فاخر تتصل به أرض واسعة بها معصرة حديد لعصر قصب السكر ومطاحن للدقيق تدور دواليبها بقوة جري ماء أجراه من عين موينايا. ومن أعماله الجليلة عتق ألف ومائتي مملوك.

ويشير المغيري إلى هذه الرحلة التي بين أيدينا قائلاً: "وفي عام ١٢٨٨ هـ صاحب السيد حمود بن أحمد السيد برغش بن سعيد إلى مكة المشرفة لأداء فريضة الحج، وجاور فيها، وزار الطائف، ومصر، والشام، وفلسطين القدس الشريف". ثم يذكر طرفاً عن أسرته فيقول: "وتزوج بالسيدة زمزم بنت سعيد بن سلطان بن الإمام. ووالدة السيد سعيد غنى بنت سيف عمّة السيد حمود هذا".

وحول موته يذكر المغيري: "وقد زهد في آخر أيامه ولازم سكنى بوبوبو، وبالأخصّ البيت الذي كان قرب المسجد. ولزم المحراب إلى أن توفاه الله تعالى باليوم العاشر من ربيع الأول سنة ١٢٩٨

---

(١) سعيد بن علي المغيري، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، (وزارة التراث القومي والثقافة: مسقط ١٩٧٩)، تحقيق عبد المنعم عامر، ص ص ٢٥٥-٧ .

(٢) تبعد عن مركز زنجبار حوالي ثلاثة أميال، وبها كانت محطة للقطار فسماها الناس بو بو بو ، محاكاة لصوت القطار البخاري.

هـ[١٨٨١م]، ودفن بجوار مسجده في بوبوبو. أقول مات ولكنه حي بآثاره الجميلة وغيره ميت وإن كان حياً".

٣- نسخ المخطوط وضبط العنوان

وأثناء إعدادي لنشر هذه الرحلة الفريدة عثرت على مخطوطة قديمة لها، وهي من جملة تركة الشيخ المؤرخ سعيد بن علي المغيري صاحب جهينة الأخبار، بيد حفيده الأخ علي بن سعيد بن علي المغيري(١). والمخطوطة من القطع الصغير وملحق بها قصيدة شعرية جيدة غير القصيدتين اللتين وردتا في النسخة الأخرى التي سيشار إليها لاحقاً. كما تتميز هذه المخطوطة إضافة إلى قدمها بوجود صفحة العنوان. ولكن -وللأسف- عَدَتْ عليها الأَرَضَةُ فمخرت وسطها من بداية المخطوطة إلى قرب نهايته التي سلمت. وأورقها مفككة وضعيفة وتحتاج إلى ترميم سريع.

ويظهر من العنوان التالي: [هذا كتاب الدرّ المنظوم في ذكر محاس ... الرسو ... تأليف السيد الأمجد حمود بن أحمد بن سيف بن محمد البوسعيدي نفع الله به المسلمين وجزاه عنا خيراً، أمين]. ونون كلمة محاسن التي في العنوان لا تظهر بدقة وكذلك لام

(١) زيارة لمنزله في ولاية بوشر بمحافظة مسقط، ابريل ٢٠٠٦م.

كلمة الرسوم. وُغيِّبت كلمة بينهما هي كلمة الأمصار. وعليه يكون العنوان على النحو التالي "الدرّ المنظوم في ذكر محاسن الأمصار والرسوم"، كما نفهم ذلك من مخطوط ثالث للكتاب نفسه. وقد عرفنا عن وجود مخطوط رابع لهذا الكتاب بالمكتبة البريطانية ونحن جادون في البحث عنه.

وخاتمة المخطوط كالتالي: [قد تم الكتاب بعون الملك الوهاب يوم ٢٢ من شهر شوال في سنة ١٢٨٩ للسيد الأمجد الكريم الأرشد حمود بن أحمد بن سيف بن محمد البوسعيدي بمكة المكرمة]. وهي إشارة على جانب كبير من الأهمية فقد نسخ هذا المخطوط في العام نفسه الذي أتمَّ فيه السيد حمود البوسعيدي رحلته، وفي المكان ذاته الذي انتهت إليه رحلته وهو مكة المكرمة، وأمر ثالث وأخير وهو أن هذه النسخة للمؤلف نفسه، كما يفهم من اللفظ والسياق. ولم يذكر الناسخ اسمه. وبعد الخاتمة وبالخط نفسه قصيدة جيِّدة في تقريظ هذا الكتاب أولها:

إذا رمتَ ضرباً فامتطي اليمَّ واتقي
جميعَ الهوى والحوبَ والفلكَ ارتقي
وأمَّ القرى أمَّ القـرى لـبٍّ واعتمرْ
بحـــجٍّ وعـــجٍّ ثـــمَّ ثـجٍّ المـدفّــقِ

وكنْ حـارماً عنـدَ الدخـولِ وحازمـاً

وطـفْ بطـواف مـودعٍ منـك مشفقِ

إلى أن يقول:

وسـلْ سيداً ذاك الهمامَ ابـنُ أحـمدٍ

حمـوداً عـن الأنـوارِ بالغارِ كم لقـيَ

متى سـارَ للقــدسِ المقـدَّس تربُهـا

وقـدْ فـازَ بالفعــلِ الجميـلِ المـوفَّقِ

مناقبُـهَ بالغـربِ والشـرقِ أشرقـتْ

سـخـيٌ نقــيٌ كـامــلٌ صــادقٌ تقــي

وقــد أوقـف القصر المنيف بمكةٍ

ربـاطـاً لأهــلِ الحــقِّ شنآنـُه شقـيِ

وبخط مخالف وبعد انتهاء المخطوط نجد يوميات في الانتقال من عمان إلى زنجبار، ولعلها عن الشيخ المغيري، ولم نستقصها لضيق الوقت وخروجها عن موضوعنا الحالي. ولعلنا نعود إليها لاحقاً أو غيرنا من الباحثين المهتمين بأدب الرحلة أو بسيرة الشيخ المغيري.

وبعد هذا التاريخ بخمس عشرة سنة تقريباً تنسخ مخطوطة أخرى للكتاب نفسه، وهي محفوظة بوزارة التراث والثقافة برقم عام

٢٥٨٧، وخاص ٤٣، وبعنوان موضوع هو [أسفار السيد حمود بن أحمد البوسعيدي]. وبياناته كالتالي كما ورد فهرس المخطوطات بعد العنوان: "نسخ زهران بن سيف الريامي، ١٣١٥ هـ. ١٣٨ صفحة، (١١) سطراً؛ ٢٤×١٩ سم. خط نسخي وبعض رؤوس الموضوعات بالأحمر. أوله: أما بعد فيقول الفقير إلى الله تعالى حمود بن أحمد بن سيف البوسعيدي لما كانت السياحة من سنن الأنبياء والسادة الأتقياء. وآخره:

صلاةٌ وتسليمٌ مدى الدهرِ كلِّه

من اللهِ للهادي النبي محمدِ

المحتوى: يتضمن شرح أسفار السيد حمود بن أحمد البوسعيدي وما لاقاه فيها من الفوائد والفضائل.

المخطوط بحالة جيدة. به تعقيبات. غير مرقّم. الناسخ نسخه للشيخ عبدالله بن ناصر بن سليمان اللمكي. العنوان من صنع المفهرس". [١]

والغريب من أمر المفهرس هذا أنه يجد مخطوطاً آخر يشير إليه في الصفحة المقابلة ذاتها من الفهرس ذاته للمؤلف نفسه والموضوع

---

(١) فهرس المخطوطات، (وزارة التراث والثقافة: مسقط ١٩٩٥)، مج٢، ص٢٢ .

نفسه واللفظ نفسه، ثم لا يستفيد من العنوان الأصلي البارز في المخطوط المتأخر لتحديد عنوان المخطوط الذي ضاعت صفحته الأولى، ثم يجتهد في وضع عنوان من عنده حيث لا موضع للاجتهاد. ومع أن ذلك سهو لا شك فيه لكن لا ينبغي السكوت عليه فحال المخطوط العماني من الضياع بحيث لا يحتمل خللاً كهذا. بل يحتاج الأمر إلى قدر كبير من المسئولية والتأني والكفاية العلمية في التعامل معه وتقديمه للباحثين بشكل دقيق.

وقد اطلعت على المخطوط الأصلي بنفسي لمراجعة بعض المواضع فيه. وهو نفسه مخطوط الدر المنظوم دون أدنى شك. ويثبت هذا المخطوط قصيدتين أخريين في تقريظ الكتاب، الأولى ركيكة النظم، ومطلعها:

أجـواهـرٌ سطـعـتْ بـرحـلةِ ماجـدِ   يرقـا إلـى العليـا والمحاسـن

والثانية أقوم منها نظماً، ومطلعها:

فمن كان مسعاهُ كمسعى بن أحمدٍ   فذاكَ إلي طُرْقِ الهدايةِ يهتـدي

والمخطوط الثالث في الترتيب الزمني موجود أيضاً بوزارة التراث والثقافة وهو نفسه الذي أشرنا إليه آنفاً. عنوانه: [الدر المنظوم في

ذكر محاسن الأمصار والرسوم]، ورقمه ٢٣٩٣، وبياناته بعد العنوان كما ورد في فهرس المخطوطات الجزء الثالث: ممباسا. نسخ راشد بن سليمان بن سليم بن سالم الحسيني ١١٢٤ هـ. ١٠٢ صفحة (١٥) سطراً؛ ٢٣×١٨ سم. خط نسخي، مداد أسود وبعض السطور بالأحمر.

وتاريخ النسخ غير دقيق إذ يجعل النسخ وكأنه قد وقع قبل الرحلة نفسها التي تمت بعد ذلك بين عامي ١٢٨٨ و ١٢٨٩ من الهجرة النبوية. والأمر يحتاج إلى مزيد من التدقيق، بالاستفادة من الإشارة المهمة التي يسوقها الناسخ من أنه كتب الكتاب في ممباسا إذ هو في ضيافة الوالي سالم بن خلفان بن عامر البوسعيدي.

أوله: أما بعد فيقول الفقير إلى الله تعالى حمود بن أحمد بن سيف لما كانت السياحة من سنن الأنبياء والسادة الأتقياء.

آخره: السيد محمد الظلمات بمعرفة باناجي في دمشق الشام. الشيخ محمد بن راشد الجلاد والشيخ سعيد الغبرة المدرس في الجامع الأموي.(١)

وقد اطلعت عليه كما أسلفت فوجدته ضعيف الخط مستقيم العبارة وبه زيادات لم أجدها في غيره. أوراقه مفكّكة وقد ورد فصل يتصل

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٣ .

بنول البوابير وشروطها وكراء الدواب، وفصل يتصل بأسماء الذين خدموا السيد حمود في رحلته، في غير موضعه. حيث جاءت بعد الخاتمة، وذلك لخطأ من قبل مجلِّد المخطوط. وترد القصيدة القافية التي أشرنا إلى جملة من أبياتها آنفاً هنا أيضاً. وبعد ذلك نجد أبياتاً شعرية متفرقة وأوفاقاً في المحبة فالخاتمة المشار إليها.

ولم نتمكن من الحصول على نسخة كاملة من المخطوط الأول وإنما حصلنا على بضع صفحات لأول المخطوط وآخره، بعد الإطلاع السريع عليه. وقد توفّرت بأيدينا حال المراجعة مصورتان عن المخطوطين الثاني والثالث فاعتمدناهما، وكانت لدينا فرصة العودة للأصل متى ما أردنا ذلك. ولعل أحداً من الباحثين يجمع شتات تلك المخطوطات المتعددة فيحقق هذا العمل المهم في مجاله، ويبرزه في حلة علمية دقيقة محققاً ودارساً لمادته. والله الموفق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

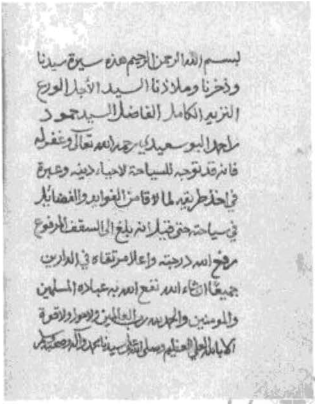
د. محمد المحروقي

العذيبة، في ١٣ / ٨ / ٢٠٠٦م

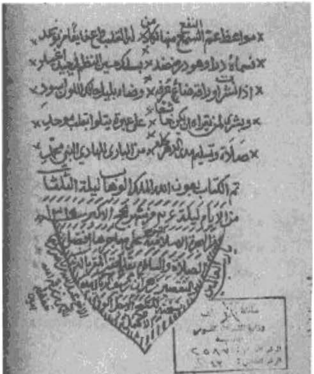




النسخة الأولى



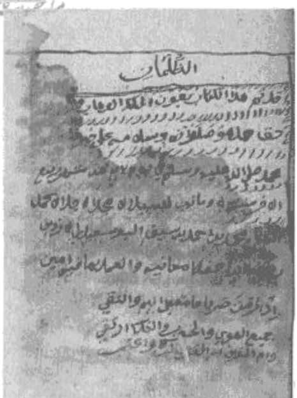
بسم الله الرحمن الرحيم هذه سيرة سيدنا
وذخرنا وملاذنا السيد الأجل الورع
النزيه الكامل الفاضل السيد حمود
بن احمد البوسعيدي رحمه الله تعالى وغفر له
فانه قد توجه للسياحة لاحياء دينه وشرع
في اخذ طريقه لما لاقا من الفوايد والفضايل
في سياحته حتى قيل انه بلغ الى السقف المرفوع
رفع الله درجته واراء الامر لقاءه في الدارين
جميعاً ان شاء الله نفع الله به عباده المسلمين
والمومنين والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم



تم الكتاب بعون الله الملك الوهاب ليلة الثلثا

النسخة الثانية





النسخة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

هذه سيرة سيدنا وذخرنا وملاذنا السيد الورع النزيه الكامل الفاضل السيد حمود بن أحمد البوسعيدي، رحمه الله تعالى وغفر له، فإنه قد توجَّه للسياحة لإحياء دينه وعبرة في أخذ طريقه لما لاقاه من الفوائد والفضائل في سياحته حتى قيل إنّه بلغ السقف المرفوع. رفع الله درجته وأعلى مرتقاه في الدارين جميعاً، إن شاء الله. نفع الله به عباده المسلمين والمؤمنين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الباب الأول
في صفة أرض الحجاز
وما اشتملت عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك اللهم يا مَنْ سَمَكَ السماءَ بناءً، وجعل الصعود إليها معراجا، وجعل فيها شمساً وقمراً منيراً وسراجاً وهاجا، وأودعها بروجاً وأنزل من المعصرات ماءً ثجاجا، وجعل الأرض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجا، وخلق شمس الليل والنهار آيتين وجعل في الأرض أزواجا، وأجرى فيها الأنهار فمنها العذبُ الفرات، وجعل فيها بحراً أجاجا، وقدَّر فيها السير أفواجاً. اللهم إني أشكرك شكراً بعدد القَطْر وجريان البحر، ومثاقيل الجبال وعدد الحصى والثرى، وما كتب به القلم وما جرى، وعدد النجوم وورق الأشجار، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث من مضر، الذي قال أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وعلى آله وأصحابه وأزاوجه وعلماء أمته الذين اتبعوه في الأثر. فيقول الفقير إلى الله تعالى حمود بن أحمد بن سيف البوسعيدي، إن السياحة من سنن الأنبياء، والسادة الأتقياء، وفيها تضرب الأمثال والعبر، وهي عبرة لمن اعتبر. وذكروا أنه أول من ساح في الأرض نبي الله دانيال عليه الصلاة والسلام. وذكروا أنه هو الذي حفر الدجلة وأوصلها بالفرات، وكانت سابقاً مقطوعة، وكانت عنده الأسماء التي خرج بها آدم عليه الصلاة والسلام من

الجنة، ثم من بعده توارثها أولاده. وأكثر من ساح من الأنبياء عيسى عليه الصلاة والسلام. ثم من هذه الأمة المحمدية الإمام البخاري رحمه الله وغيره في طلب الأحاديث وجمعها.

وفي الأسفار تفريج الهمِّ وتَعَلُّمُ الأخبار وتذكرة لأولى الأبصار، وقد قال بعض الأفاضل شعراً:

تَنَقَّلْ فلذاتُ الهوى في التَنَقُّـــلِ ... ورِدْ كلَّ صافٍ لا تقفْ عندَ منهلِ

ففي الأرضِ أجنابٌ وفيهـا منازلٌ ... فلا تبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ

ولا تستمع قولَ امرىءِ القيسِ إنَّهُ ... مُضَلٌ، ومن ذا يهتدي بمضللِ(١)

فعلى كل حال كانت أول سياحتي التوجُّه إلى بيت الله الحرام، ومعاهد التجليات طلباً للغفران من الملك العلام. وكان أول توجهنا من بندر زنجبار يوم ستة وعشرين من شوال سنة ١٢٨٨ بعد صلاة الصبح، بصحبة السيد الهمام والأسد الضرغام، برغش بن سعيد بن سلطان ابن الإمام. فكان وصولنا إلى بندر جدة ليلة أربع عشرة من شهر القعدة، وأقمنا يومنا بجدة، وبعد العصر ليلة خمس عشرة سرنا إلى مكة فدخلناها ليلة ست عشرة في شهر القعدة. وليلة أربع عشرة

(١) في الأصل "ومن لا يهتدي بمضلل".

من شهر الحج توجه السيد برغش ومن معه إلى المدينة المنورة. ويوم حادي محرم حرام الساعة الثامنة من النهار سافروا من بندر جدة إلى زنجبار، وكان وصولهم من المدينة يوم سبعة وعشرين من شهر الحج سنة ١٢٨٨. وكنت أنا قد بقيت بمكة المشرفة مجاوراً لبيت الله الحرام وزمزم والمقام، وأتطيب بمسك تراب تلك المشاعر العظام بمكة، قال الشاعر:

بمكةَ لي غناءٌ ليس يفنى ... جوارُ اللهِ والبيتُ المعظَّمْ

ثم في اليوم التاسع من شهر ربيع الآخر وكان يوم الأحد سنة ١٢٨٩ توجهت إلى الطائف، وكانت الساعة الثامنة من النهار. وأصبحنا يوم الاثنين في سوله وأقلنا بها، ورحلنا في الساعة السابعة من النهار، وأصبحنا في التبيل وأقلنا هناك ورحلنا في الساعة السابعة من النهار يوم الثلاثاء، وأصبحنا يوم الأربعاء بالطائف ودخلنا البلد بعد طلوع الشمس بساعة. وبعد الاستراحة سرنا نزور قبور سادتنا عبدالله ابن العباس وأولاد النبي الطيب والطاهر وولد سيدنا علي بن أبي طالب محمد بن الحنفية وزبيدة بنت أبي جعفر المنصور العباسي ومن معهم في القبة.

ثم زرنا قبور الصحابة الاثنى عشر، وهم شهداء الطائف. ثم زرنا

سيدنا زيد بن ثابت الصحابي ومن معه. ومن بعد سرنا إلى وادي النمل، وهو وادٍ عظيم وعليه مزارع في جوانبه وقرى، يشرح الخاطر وفي أوله مسجد وبعده الطائف بمقدار أربعين أو خمسين دقيقة على الحمير بجدة السير. ثم سرنا إلى جهة المثنّاة ورأينا بئر التفلة وبستان عباس، ومع البئر مسجد. وهي بئر خالية (جافة)، وكذلك في البستان مسجد صغير. وهذا البستان دخله النبي صلى الله عليه وسلم لما آذاه آل ثقيف أهل الطائف، وأسلم عداس فيه على يديه حين جاءه بطبق من عنب من البستان.

وتفرجنا على بساتين أهل الطائف ووجدنا أفخرها شيرة؛ بستان أمير مكة الشريف عبدالله، والبهجة؛ بستان الشريف عبدالمطلب. وهما من جنات الدنيا. والطائف بلدة طيبة منبسطة،[1] وفي قوة الحر باردة مثل الشتاء في غيرها، وفي الشتاء يجمد الماء من قوة بردها.

وهي قرية عليها سور وفيها قلعة فائقة في الحسن، وأسماء أبوابها الحزم وباب ابن عباس وباب الربع، وفيها باب صغير من القلعة غير الثلاثة المذكورة. وأكبر مساجدها مسجد ابن عباس وفيه تقام الجمعة، ثم من بعد مسجد الهادي أسفل البلد وفيه تقام الجمعة أيام الموسم.

---

(١) في الأصل وردت كلمة "شمرحة"، ولم أعرف لها أصلاً سوى أن تكون من ألفاظ اللهجة المحكية، فيقال "مكان شرح" بكسر الأوليين أي منبسط.

وقد أخبرني بعض من له خبرة بتلك الجهات أن حول الطائف من سائر جهاته الأربع جملة قرى محتوية على بساتين وأنهار متفجرة ومزارع وثمار متنوعة، وكل هذه الثمار ترد إلى مكة المشرفة، فلذا تجد بمكة دائماً الفواكه في غير أوانها. قال فمن جملة الوديان والقرى المذكورة وادي المثناة ووادي الرهط ووادي السلامة ووادي العقيق ووادي الحال ووادي القيم ووادي العرج ووادي ليلة ووادي قرن، وغير ذلك مما يشرح الخاطر ويسر الناظر.

وتوجهنا منها يوم سابع والسبت من جمادى الأولى إلى مكة المشرفة، فمن يوم خروجنا من مكة إلى يوم رجوعنا إليها شهر كامل. ثم سافرنا من مكة المشرفة ليلة اثنتي عشرة والجمعة من جمادى الأولى من السنة المذكورة إلى جدة فدخلناها يوم السبت بعد طلوع الشمس. وفي يوم الأحد زرنا قبر أمنا حواء وطوله أربعون ذراعاً على حد قولهم، ووجدناه كما قالوا، إن لم يزد لم ينقص. في وسطه قبة قيل إنها على سرتها.

ثم ركبنا البحر وسافرنا يوم خمسة عشر والاثنين الساعة الأولى من النهار في بابور الدولة العثمانية المسمى درابزان بُودقلين، طوله مائتان وثمانون فوتاً، واسم قبطانه ربوان بابا. ويوم ثمانية عشر والخميس أصبحنا مقابلين جبل طور سيناء، وأمسينا آخر بركة فرعون،

وهو الموضع الذي غرق فيه فرعون لعنه الله. وصباح تسعة عشر والجمعة في الساعة الأولى والنصف من النهار وصلنا إلى السويس، وكرتنونا[١] أربعاً وعشرين ساعة، ونزلنا يوم السبت بعد تمام مدة الكرنتينة وصارت علينا من المشقة ما لا مزيد عليه من الزحام، لأن المركب فيه جملة خلق من عسكر وغيرهم، حتى اشترينا مغلقاً فيه نسوان ونحن جملتنا خمسة أنفار، نولنا[٢] ستون ريالاً.

ونزلنا بالسويس عند الجودي، وهو جودي فاخر، ورأينا ما حوله من البناء والآلات ما لا يوصف، ومسافته عن البلد مقدار نصف ساعة على الدواب[٣]. وسافرنا من السويس في بابور الدخان[٤] على البر يوم الحادي والعشرين والأحد، بعد مضي ساعة وعشرين دقيقة من النهار.

(١) يقصد به الحجز الصحي، كما ذلك يفهم من السياق ومن موضع آخر في الرحلة.

(٢) النول: الأجرة.

(٣) في الأصل البهائم.

(٤) يقصد القطار البخاري.

الباب الثاني

في ذكر مصر وعجائبها

ووصلنا مصر الساعة الحادية عشرة إلا عشرين دقيقة في يومه[1].

وكان قد وقف بنا في خمسة عشر موضعاً لأجل الاستراحة وقضاء الحوائج. ومنها رجوعه إلى بلد تسمى إسماعيلية مرسى المراكب التي تمر في البحر الجديد[2]. وتركنا مدة الإقامات[3] فكان باقي مسيرنا من ذلك كلّه من السويس إلى مصر ست ساعات وعشرين دقيقة. وكان في سابق الأمر على الجمال سير ثلاثة أيام بجمال أهل مصر لأنها في السير أسرع من جمال الحجاز. والنهر من النيل، والبحر الجديد بداية سايرناه من السويس إلى الإسماعيلية، والسلك[4] كذلك يسايرنا من جانبين وذلك مقدار نصف الطريق. الغاية إنها (البحر وخط الهاتف) مقابل المحطة التاسعة، ثم انقطع عنا البحر الجديد والسلك من جانب واحد، وسار البحر إلى جانب آخر إلى نبط سعيد وبقى معنا النهر الحالي والسلك من جانب واحد سايرنا إلى مصر.

وعند وصولنا إلى وادي مصر وهو معقل العسكر، بُعْدُهُ عن البلد

(١) أي يوم الأحد الذي غادر في الساعات الأولى منه.

(٢) يريد قناة السويس.

(٣) أي الوقوف في المحطات المذكورة.

(٤) خط الهاتف.

سبع محطات، كلُّه عمار من مزارع ونخل وأشجار، وتفرع النهر في مواضع شتى يسمونها الترع؛ منها ترعة إلى السويس تمر فيها المراكب عند جودي، ومنها ترعة عند الإسكندرية، وترعة تشق مصر. وكلها من البحر الكبير وتفاريعه في سائر أرض مصر من سائر البلدان. وجميع هذه الترع تجري فيها السفن من كبار وصغار، ويأكلون من حيتانها. والحاصل أننا رأينا شيئاً عظيماً يقصر دونه الوصف.

والسويس بلدة صغيرة ولا عليها سور، ولا فيها شيء من القلاع غير البوابير الحربية في مرساها. وفيها قلعة محكمة متكلفة بلك وخمسين ألف ريال[1]. إنه هذا ما بلغنا. وليست هي بلدة مزارع إنما تجيء إليها الفواكه والمأكولات من مصر وغيرها.

وأما العجائب في مصر - وما سميت مصر إلا لأنها مصر كما قالوا - وفيها من البساتين آية وشيء يبهر العقول حتى في بعض الأماكن يمشي البابور ما بين الأشجار والأنهار. وتفرجنا على كارخانة[2] طبع الكتب، والذي يصحح الكتب في المطبعة عشرة من العلماء. وكذلك تفرجنا على كارخانة عمل القرطاس وهي تعمل أصنافاً من القرطاس. وهو يعمل من الخرق البالية والجواني وورق الموز.

(١) اللك: كلمة من لغة الأردو مقدارها مائة ألف.

(٢) ماكينة الطبع.

وأما طبع الكتب فهو على نوعين؛ نوع بالحجر ونوع بالرصاص. وتفرجنا على كارخانة السراج التي تشتعل منها المصابيح في البيوت والطرقات. والحاصل أن ما رأينا من هذه الكارخانات شيء مما لا يناله الوصف.

ودخلنا بيت الفرجة وهو بمحل يقال له بولاق وهم يسمونه الانتيكة، ومعناه العمل القديم. ورأينا فيه صور الفراعنة وغيرهم وحليهم السابقة من ذهب وفضة، وبعض من حوائجهم وأسبابهم وسائر صنائعهم. وفيهم أموات على حالهم في صناديق، أحدهم منذ ثلاثة آلاف سنة وثماني مائة سنة، تواريخهم مكتوبة عليهم. أخرجهم النصاري من الأرض، بعضهم في زمن محمد علي باشا والبعض من بعده. أصلها مقابر قديمة بمصر، يحفرونها ويخرجون منها صوراً من المتقدمين وأمواتهم وحوائجهم. هكذا أخبرونا والله أعلم. وفيهم صور هائلة موحشة، أحد منهم يقارب سبعة أذرع طولاً وأزيد، والجرم على قدر الطول. وأحد من الأموات بأكفانهم وشيء من كسوتهم كذلك باقية لم تتغير، واحد منهم كالأسد، وغرائب لا تحصى، يحتار فيها اللبيب، ويهابها الطبيب، وهي شكل غريب.

وكذلك تفرجنا على نيل مصر الكبير وما فيه من المراكب والسفن، ورأينا مجاري الترع منه إلى باقي البلدان من السويس وغيره، والسفن

الجارية فيها تحمل أشجاراً وخضرة وفواكه وحبوب وغير ذلك من مهمات العالم إلى سائر الجهات. وكل هذه الفرجة ببولاق، وهي حارة من حوائر مصر شهيرة. والآن هم مجتهدون في حفر ترعة إلى السويس غير الأولى للمراكب. ورأينا القناطر الصغار ورأينا القناطر الدورانية على النيل.

ورأينا الموضع المسمى الإسماعيلية، الذي يعمره إسماعيل باشا بمصر من بولاق في محل يقال له الجزيرة، وبما فيه من البناء الفاخر. ورأينا بستانه المسمى الجنينة وبما فيه من القباب المزخرفة والأنهار الجارية والأشجار المظلة الدانية، والجبل المصور والماء ينحدر من أعلاه إلى بحيرة في وسط البستان، وعليها القناديل دائرة على صِفة بيض النعام، وكلها تسرج في يوم الزينة بالجاز.

والجاز حل[1] الولاية، وفي وسطها قبة صغيرة للطير، وفيها من الأشجار الفاخرة ما لا نهاية. وفيه قبة مخصوصة تضرب فيها المزيقة[2]، وهي آلة الطرب الافرنجية. وكذلك باقي القباب بها أنواع من الآلات الملهية، وفيهن من القناديل والسرج ما لا نهاية.

---

(١) زيت الوقود.

(٢) الموسيقى.

وعلى الأنهار والأشجار قناديل. ويصير فيه مجمع كبير في الأسبوع مرتين، لأنه مجعول للفرجة مما يؤدي لكل متدين بدينه أن ينكر.

ورأينا الجامع الأزهر وهو مقر العلماء والمتعلمين، إنه جامع كبير، وفيه مواضع ومحاريب جملة، ومدارس وخلوات للمتعلمين. ومن جملة المحاريب، محراب في وسطه ما بين العواميد، وعواميده كلها حجر رخام. والذي وافقناهم[1] فيه من المتعلمين وغيرهم بقدر ثلاثمائة إلى أربعمائة، وذلك في غير وقت الصلاة، عند الإشراق.

وفيه جملة من علماء يدرّسون في حلقات عديدة، يسمع لهم دويٌّ عظيم. وأخبرونا أن الذي رأيناهم أناساً قلة، أكثرهم في هذه الأيام ساروا إلى زيارة الشيخ البدوي، ومعهم اجتماع عظيم. وجميع المتعلمين في هذا المسجد لهم جوائز من الدولة. الحاصل أنه مسجد عظيم وفيه خلق كثير. وفيه جملة صناديق تضم كتباً كثيرة، وهي في التحري بقدر مائتي صندوق، قد تزيد قليلاً وقد تنقص. والحاصل أننا لا نستطيع وصف كل ما رأيناه، بل وصفنا البعض فقط.

ثم زرنا رأس الحسين بن علي بن أبي طالب، وهم يذكرون أنه جاء به أحد ملوك مصر بعد وفاة يزيد بن معاوية، وعليه قبة عظيمة

---

(١) أي وجدناهم أثناء زيارتنا.

بها مسجد عظيم. وزرنا الأمام الشافعي، والسيدتين نفيسة وسكينة نفيسة بنت الحسين بن علي، والسيدة زينب بنت سيدنا علي بن أبي طالب. وهذه المزارات كلها عليها قبب صغار، وفي الوسط قبة كبيرة وفيها من النقوشات والكتابات. وفي مصر مساجد كثيرة من جوامع وغيرها، قيل لنا إنها تحوي ثلاثة آلاف مسجد.

وصعدنا القلعة، ورأينا مسجد محمد علي باشا الذي ليس له نظير، كلُّه من رخام مثل الكهرب، وعليه قبب صغار، وفي وسطه قبة كبيرة، وفيه من النقوشات بالذهب وغيره ما لا يوصف، وبجانبه عن يمين الداخل قبره وهو في بطن القلعة على جبل، وحوله البساتين وفيه موضع للنزهة، شيء لا يوصف.

وإذا كنت بجانب المسجد ستكشف مدينة مصر كلها. وفي هذا المسجد من ثريات وقناديل وفرش ما لا يوصف، والماء صاعد للمسجد والجبل، وكذلك القلعة كلها على الجبل كاشفة على مصر الجديدة والقديمة. فيه جملة أبواب، وكل باب عليه عساكر وفيها جملة بيوت. والحاصل أنها حلَّة تامة، تطلع إليها عربات الخيل من غير مشقة.

ونظرنا البلد كلها من القلعة فوجدناها بلدة عظيمة على الوصف وزيادة. وزنجبار كلها ببيوتها في السعة والقيمة عن محلة من مصر على القياس، الحاصل أنها بلدة يكلُّ البليغ عن وصفها، وليس الخبر كالعيان.

ورأينا بيت فرعون موسى وهو قد خرب، بل باق شيء من حيطانه وموضع جلوسه للبروز للناس في دكة مرتفع، علُّوها من الأرض في بناء نحو عشرين ذراعاً، قياساً على التحرّي.

وأخبرنا شيخ من شيوخ الأزهر أن جملة علماء جامع الأزهر المدرسين مائتان، وتلاميذهم خمسة آلاف وثمانمائة، والجملة ستة آلاف نفر، الذين لهم جوائز من الدولة المصرية، وهم مكتوبون في دفاترهم. وعند الدرس يمتلئ المسجد الأزهر المتقدم ذكره كله مع الأماكن التي حوله حتى لا يقدر أحد أن يجوز في وسطه من كثرة الخلق، لاصقين ببعضهم بعضاً. وأخبرني غير الشيخ المذكور بذلك، كما أخبرني الشيخ تصديقا لقوله[1].

وأخبرونا عن قبور أهل مصر، يجعلون سراديب في الأرض

(١) هكذا في الأصل يخرج عن وصف الأزهر ثم يعود إليه، ولعلها مادة تهيأت له لاحقاً بعد أن خرج عن وصف الأزهر فأضافها في غير محلها.

ويبنونها وينوِّرونها ويجعلون على أبوابها الحجر المنحوت وإذا مات لهم ميت كشفوا الحجر وأدخلوه، وتجتمع أموات كثيرة في كل سرداب. وطوارق[1] النساء يزينونها ويجعلون على رأس الميتة عوداً مستمراً بالنعش، وفيه شعر يزينونه بالحلي، ويلقون في الشعر مشاخص ذهب وشيئاً من زينة النساء. رأيناهم يمرون بطارقة على هذه الصفة، وأخبرونا بذلك وعندهم تخرج النساء خلف الجنائز، يكون الرجال أمام الطارقة والنساء خلفها. وطوارقهم بخلاف طوارقنا يحملها ثلاثة أنفار؛ اثنان قدام وواحد خلفها، والنساء نائحات خلف الجنازة مخالفين للسنة.

وأيضا دخلنا بيت النزهة الذي هو في بستان القلعة مزخرف مما لا نهاية، وفيه ديوان المناصب إذا تولى حاكم يقعد فيه للتهنئة، وكذلك أيام الأعياد يقعد فيه والي مصر. وفيه مواضع إذا دخلت موضعاً تراه أحسن من الآخر. والحاصل أنه محل مملكة. وقد بلغنا أن السلطان عبد العزيز حين قدم إلى مصر سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف نزل فيه.

---

(١) جمع طارقة، وهي آلة خشبية يحمل عليها الميت.

ورأينا كرخانة القروش في القلعة، وكذلك سجن النبي يوسف عليه السلام، وهي بئر كبيرة عميقة في القلعة ونزلنا إلى بعضها، ورأينا الموضع الذي كان يجلس فيه النبي يوسف عليه السلام، وهو في جانبٍ من البئر. وطريقها مظلمة ينزلونها إليها بالشموع، وهم يجذبون الماء منها للقلعة على راسين من الخيل، لأنها بئر عظيمة هائلة، وماؤها عذب. وفي بستان القلعة المذكور بركة عليها صور سباع يخرج الماء من أفواهها، وفي وسطها كذلك يخرج الماء كمثل الشجرة.

وجواري الدخان في بر مصر كثيرة متفرقة في بلدان شتى، وكذلك السواعي[1] من كبار وصغار شيء كثير لا يحصى ولا يعد، نجدها حيثما سرنا، في الشط بنفسه وفي فروعه تحمل الأمتعة إلى مصر وباقي البلدان. ومن العجائب أننا رأينا أناساً في بر مصر عراة مثل البهائم، وهم مع الناس ولا أحد ينكر عليهم، كيوم ولدتهم أمهاتهم. والبهائم معهم كثيرة من كل صنف، ورأيناهم يركبون على الجاموس. وأكثر أحمالهم على الجمال والسواعي والبوابير. والبابور الواحد يجر مائة عربة تحمل أثقالاً كثيرة من أموال وحيوان

---

(١) هي المراكب النهرية الصغيرة. تعرف في بعض اللهجات العربية بالبلم.

من خيل وغيرها. والبوابير المخصوصة للركاب لا تقطر شيئاً، وربما تأخذ نصف المقداز في مسيرها في الساعة.

وقد ركبنا في المقطورات، وهن مثل الطير الذي يساير العربة ولا تتبين صورته من قوة السير وقد مر علينا طائران ولم يستطيعا أن يجاوزانه من قوة جريانه. وشط النيل ينفذ في دمياط ورشيد وإسكندرية والسويس، هكذا أخبرونا. ويذكرون في دمياط أنه في كل سنة وفي النصف من شهر شعبان يفترق البحران بقدر مذبح جزور، ويذبحون له جاموساً بين البحرين فيلتئم بقدرة الله تعالى، والله أعلم.

ومدخول مصر كل يوم، كما يذكرون، لكا ريال، والذي يسير اسطنبول في كل سنة لك وثلاثون ألف كيس، والكيس فيه خمسمائة فون ذهب. والفون عن خمسة عشر ريال، هكذا أخبرنا شيخ التجار وغيره عن المدخول. وبلد مصر بنفسها وخيمة، هواؤها غير محمود، وهي بلد قديمة فيها جملة بيوت قديمة وخَرِبة، والآن يعمرونها ثانية بيوتاً كبيرة فاخرة على صفة بيوت النصارى. وما عمروا منها سوى القليل، والعمار كل يوم في زيادة. وأخبرنا شيخ التجار وغيره عن بلد مصر أن طولها ثمانية أميال وعرضها أربعة، وهذا غير العمارة

الجديدة التي ربما تقارب المناصفة.

وفي يوم الخميس، في الخامس والعشرين من جمادى الأولى سافرنا إلى البهنسا لزيارة الشهداء، وأخذنا من البيت إلى خارج البلد عند مواضع جواري الدخان ساعة وعشرين دقيقة راكبين في عربة براسين خيل، وركبنا في بابور البر إلى بلد تسمى مغاغة، وأخذنا في الطريق خمس ساعات وخمس دقائق التي هي مشي البابور فيها غير مدة الإقامات. ومن مصر إلى مغاغة سبع مقامات، ومنها ركبنا على خيل إلى أرض البهنسا أخذنا ست ساعات. وهذا كله عمار؛ بلدان جملة لا تعد ولا تحصى، وكلها مزارع من سكر وبِرّ وبقولات وغير ذلك، وفيها نخيل جملة، والنيل معنا إلى البهنسا.

وعبرنا نحن وخيلنا في سفينة والسلك معنا إلى مغاغة، وصرنا إلى موضع آخر والمراكب والسفن الكبار معنا إلى مغاغة، وكذلك فروع الشط فيها سفن صغار، والنيل له فروع شتى لا تحصى ولا تعد حيث ما سرنا وهن معنا. والذي عبرناه في السفينة هو نهر يوسف عليه السلام وهو فرع من النيل، وهذه المزارع التي رأيناها يعمها الماء عند امتلاء الشط في كل سنة مرة لا يبقى منها شيء غير محل البيوت خاصة. ويعبرون في سفن صغار من بلاد إلى بلاد.

وهذه المزارع تبلغ حداً لا يبلغه نظر الإنسان، فلا يُرى أقصاها، ربما أنها مسير أشهر، وهي صحن واحد ما فيها مكان موضع مرتفع غير موضع البيوت والنخل، وفيها جملة شجر، وفي بعض الطرقات يعملون جسوراً يمشون عليها، وهي دكاك[1] من تراب مرتفعة ممتدة من بلد إلى بلد بغير بناء.

وهذه المزارع ثلاث أصناف؛ صنف منها يسقيها الشط في الحول مرة، وصنف منها يسقونه من فروع الشط متى ما أرادوا، وصنف منها يسقونها على البهائم من الشط. وفيها جملة معاصر دخان وغيره، ويحصل منها خير كثير. أخبرنا إنسان اسمه علي أغا، سلحدار المرحوم الشريف محمد بن عون، والآن هو القائم على الأراضي التي بتلك الجهات في حدوده من أرض البهنسا، أخبرنا أنه باع تبن البِر بسبعمائة وخمسين فوناً. والفون عشرة ريالات عن ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسين ريالاً. فإذا كان إنسان واحد يبيع من التبن بهذا المقدار، فكم من غيره، وكم وكم مثله وأشكل منه، فالملك لله الواحد القهار. رأينا شيئاً لا يقاس ولا يكيّف ولا تسعه العقول.

---

(١) مفردها دك، أي الجسر الصغير من التراب.

ورأينا بروجاً بنوها للحمام مثل ما رأينا، ويذكرون أنهم يبيعون من روثها بمقدار كل شهر يبلغ ألف ريال، وذلك يأخذه الزرّاع . فلما وصلنا البهنسا زرنا الشهداء بفضل الله وكرمه، ورأينا موضع القتال ومسجد الصحابة وهو لم يبق إلا أثره ، ورأينا بين المسلمين المكان الذي استشهدت فيه نساء المسلمين، ورأينا موضع كلب الروم على كثيب عال، حيث ما كان يحرض أصحابه على القتال. ورأيت في ذلك الموضع جماجم على حالها لم تتغير بشعورها، يذكرون أنها جماجم المسلمين متوارية بالأحجار.

والشهداء المعروفون عليهم قبب كل جماعة في قبة، والذين غير معروفة أسماؤهم عليهم علامات من الحجارة. ويذكرون أن الوادي كله مليء بالقتلى، جاعلين علامة بين قتلى المسلمين وقتلى المشركين حجراً على طول محل الوقائع التي صارت. وهو وادٍ متسع ، ورأينا موضع الكنيسة وشيئاً من آثارها، وهو من الحجر الرخام.

والبلد على نهر يوسف عليه السلام والنهر يجري في وسط البلد. وهي قديمة كلها خراب بيوتها خربة. وأما حدودها فعلى ما رأينا كبيرة.

قال شعراً :

لقد جاهدوا في اللهِ حقَّ جهادِهِ وفازوا بجناتٍ ونالوا مكارما

ولم يبق شيء من الأسوار والقلاع التي عمها الآن الخراب. وليس بها كثرة سكان، وفيها مساجد قديمة، واحد منذ سبع مائة سنة، وواحد من فوق الألف سنة وهو على النهر، وقد خرب، وهم الآن يعمرونه ثانيةً.

وفي رجوعنا من البهنسا زرنا سيدنا أبا هريرة وولده، وهما في مصر عند كانية البابور عند المسجد. ومن مصر إلى البهنسا كانوا يسيرون إليه على الجمال في أربع أيام بجد السير.

ولما رجعنا إلى مصر رأيناهم يزينون البلد لأجل قدوم إسماعيل باشا والي مصر من اسطنبول، ويذكرون أن هذه الزينة تتكلف على أهل البلد بين لك وحتى خمسة لك ريال، حتى أن إنساناً أجَّر إنساناً لزينة بيته بستة آلاف جني، هذا واحد من عالم، وكم غيره. الحاصل انه شيء مفرط، ومن الجملة يؤجرون جارية تغني بثلاث مائة ريال في الليلة الواحدة. ومررنا على تلغراف وهو السلك الموصل الأخبار من جهة إلى جهة وكيف يصنعون به، وذلك في طريق البهنسا.

ورأينا أهرام مصر وهي من عجائب الدنيا، وأعجبها الهرمان القريبان لمصر المنسوبان لشدّاد بن عاد، وقد رأينا في بعض التواريخ أن الذي بناها هو سوربد أحد ملوك مصر قبل الطوفان بثلاث مائة عام، لأنه كان قد رأي في منامه كأن الأرض انقلبت بأهلها، وكأن الناس قد هربوا على وجوههم، وكأن الكواكب تتساقط ويصدم بعضها بعضاً بأصوات هائلة. فأهمل ذلك ولم يذكره لأحد وعلم أنه سيحدث أمر عظيم. ثم إنه رأى من بعد ذلك في الليلة الثالثة بأن الكواكب الثانية نزلت إلى الأرض في صورة طيور بيض وكأنها تخطف الناس وتلقيهم بين جبلين عظيمين، وكأن الكواكب المنيرة مظلمة مكسوفة، فأنتبه بعد ذلك فزعاً مرعوباً، فأمر بعد ذلك بعمل الأهرام.

ولما شرع في بنائها أمر بقطع الأسطوانات العظام واستخراج الرصاص بأرض المغرب وإحضار الصخور من ناحية أسوان، فبنى بها أساس الأهرام الثلاثة الشرقي والغربي والملوّن. وكانوا يمدون البلاطة ويثقبونها ويجعلون بوسطها قضيباً من حديد إلى أن أُكملت. وجعل ارتفاع كل هرم مائة ذراع ملكي، والذراع الملكي خمسة أذرع بذراعنا الآن. وجعل جهاته مائة ذراع بذراع العمل،

فلما فرغ من بنائها كساها ديباجاً ملوناً من أسفلها إلى أعلاها، وأنشد بعضهم:

خليليَّ ما تحتَ السما منْ بنيَّةٍ تماثــلُ في إتقانهــا هرمــيْ مصر
بناءٌ يخافُ الدهرُ منْهُ، وكلُّ ما على ظاهرِ الدنيا يخافُ من الدهرِ

ويذكر القبط في كتبهم أن عليها كتابة منقوشة تفسيرها بالعربية «أنا سوربد الملك بنيت هذه الأهرام في سنة كذا وكذا وأتممت بناءها في ست سنين، فمن أتى بعدي وزعم أنه ملك مثلي فليهدمها في ستمائة سنة، وقد علم أن الهدم أهون من البناء، وأني كسوتها الديباج فليكسها بالخضر».

ثم سافرنا من مصر إلى الإسكندرية يوم تسعة وعشرين والاثنين من جمادى الأولى سنة ١٢٨٩ في الساعة الثالثة إلا ربعا من يومنا هذا المذكور، وركبنا في بابور البر فوصلنا إلى الإسكندرية في تسع ساعات وخمس دقائق من يومنا المذكور، ووقف بنا البابور في تسعة مواضع، ومدة الإقامة من ذلك ساعة وعشر دقائق. وكان السير في ثماني ساعات إلا ثمان دقائق. ويذكرون أن السفر كان سابقاً على الجمال من مصر إلى الإسكندرية في ستة أيام.

ومن مصر إلى الإسكندرية كله عمار؛ بلدان وبساتين ومزارع، والنهر والسلك معنا من جانبين. وقرب إسكندرية بنصف ساعة سايرنا البحر المالح، ومشينا في أرض الملح، والنهر والمزارع والبساتين دارت عنا في جانب والبحر في الجانب الثاني. وجميع المواضع التي يقف عليها البابور بلدان وفيها ما يؤكل من فواكه وغيرها، فلا يحتاج المسافر لطبيخ ونفيخ، ولا إلى حمل زاد، وذلك من جميع أرض مصر حيث ما تصل البوابير براً وبحراً.

والمراكب والسواعي الصغار متفرقة في النهر من مصر إلى إسكندرية. وكذلك بساتينهم وزروعهم سقياها على ثلاثة أصناف كما تقدم ذكرها. وحد ما وصلناه من أرض مصر كله عمار ليس فيه شيء من الخراب.

وعندما وصلنا الإسكندرية رأيناها مزينة لأجل وصول إسماعيل باشا من اسطنبول كما تقدم. وزينتها شيء عظيم لا يوصف. ويذكرون أن الزينة تتكلف عليهم بمبلغ عظيم أكثر من مصر، والله أعلم بذلك. وفيها من جواري الدخان المزينة ما هو في غاية الحسن، وكذلك جواري الخيل مزخرفة أحسن من الذي رأيناه في مصر.

وهي بلدة منظمة نظيفة وغالب طرقها منصوبة متسعة مفروشة بالحجارة، وماء النهر يعلوا إلى أعلى طبقة من البيوت، وأغلب بيوتها منظمة في غاية التنظيم. وهي بلد متوسطة، وفيها بساتين فاخرة، وبيوت في البساتين على أشكال لطيفة مسايرة النهر. وعلى النهر أشجار، وتمر الجواري بين البساتين والنهر في ظل الشجر، حدًّ ما رأيناه من المسافة على هذه الصفة. وعليها سور وخندق عظيم من جانب البر وعلى السور قلاع، وفي وسطها قلعة مدورة. الحاصل أنها بلد منيعة، ومنظمة كثيراً إلى ما لا نهاية، والبساتين المذكورة خارجة عن السور، وفي وسطها بعض البساتين الصغار.

ورأينا الجودي وموضع صيانة المراكب، وهناك عمال في الخدمة، ووصلنا إلى الرأس وهو موضع العسكر، وهم يسمونه رأس التين، وبه سراية عظيمة لجلوس والي مصر إذا قدم إليها، وفيها بعض البساتين الصغار للفرجة. وفيها بركة ماء ينصبُّ من أعلاها، وصور آدميين يغتسلون، وعلى البركة أشجار. والحاصل أنها بلد ما عليها قصور، يعجز الواصف عن وصفها، وفيها فرضة عظيمة متسعة بها مواضع كثيرة، والبندر فيه من المراكب الكبار والصغار والسواعي شيء كثير. وفيها مساجد منظمة بل إنها ليست كمساجد مصر.

وأما سكانها فأغلبهم نصارى ويهود، والمسلمون بها قليل بالنسبة إلى من سواهم[١]. وهواؤها معتدل أحسن من هواء مصر. وزرنا نبي الله دانيال عليه السلام، والإسكندر ذا القرنين صاحب الإسكندرية. وقبورهم نازلة في الأرض بدرج ينزل إليها من أراد الزيارة.

وفيما بين مصر والإسكندرية بلد يسمى طنطا، بها مقام الشيخ أحمد البدوي يعملون له في كل سنة ثلاثة موالد كبار؛ منها المولد الرجبي في شهر رجب، والمولد الكبير عند طلوع الليل[٢]، والمولد الصغير في شهر شوال. ويذكرون انه في كل مولد ينتظم سوق عظيم مدة المولد خمسة عشر يوماً فيأتي الزوار من سائر أقطار مصر جميعاً، ويقدم التجار من الشام والروم وغيرهم من سائر أجناس الأمم ويصير موسم وبيع وشراء أصناف التحف والأقمشة والألعاب وغيرها. وأهل الأذكار والناس أفواجاً يأتون من كل فج عميق، حتى أخبرونا أن اجتماع الخلائق في المولد الكبير يقارب عددهم في منى وأيام التشريق.

وهم يذكرون أن هذا الشيخ البدوي صاحب هذا المولد كان حياً في القرن السادس، ثم ظهرت له جملة كرامات مذكورة في كتب

---

(١) لا نعلم كيف توصّل الكاتب إلى هذه النتيجة، وهو للأسف لا يذكر المصدر الذي اعتمده.

(٢) ربما أراد زيادة طوله.

وشهيرة على ألسنتهم، حتى أنه كان يخطف الأسرى من بلد الإفرنج، فلهذا تجدهم يعتقدونه من أولياء الله تعالى. ولم نر هذا البلد إلا مروراً عليه ولم ندخله غير أن بعض الناس يخبرنا أنها بلد (رائعة)[١] الشكل لطيفة الهوى بها أصناف التجارة، وأبنيتها متناهية الجمال، وبحر النيل في وسطها وهي منظمة، والله تعالى أعلم.

وهي من جملة المحطات التي يقف عليها البابور. والفواكه في الإسكندرية أكثر من مصر وأحسن، وأما الزينة التي يعملونها في مصر والإسكندرية ليس هي باختيارهم بل يجبرون عليها، هكذا بلغنا. والحد الذي بين أرض مصر والشام اسمه العريش[٢]. وبندر إسكندرية حصين يحيط بالبلد من ثلاثة جوانب، ورأينا فيها الجودي الجديد، ينزلون في البحر ويدخلون المركب في وسطه، ثم يرفعونه والمركب في جوفه، هكذا اخبرونا. وقد بلغنا أن سكان بلد مصر تسعة لكل نفر والإسكندرية ثلاثة لكل نفر، الذين هم في هذين البلدين خاصة[٣] غير سائر الأقاليم، والله أعلم[٤]. ورأيناهم يجمعون

---

(١) ورد في الأصل «مريفة بالشكل»، ولم نعرف لكلمة مريفة معنى.

(٢) وردت في الأصل العرش.

(٣) خاصة يستخدمها كثيراً بمعنى فقط،

(٤) ربما كان يقارنهم بسكان زنجبار وأنهم يزيدون في مصر أي القاهرة تسع مرات وفي الإسكندرية ثلاث مرات.

حجراً منحوتاً[١] على بندر إسكندرية، مرادهم يحصنونه زيادة.

ثم سافرنا من الإسكندرية يوم رابع والجمعة من شهر جمادى الآخر في أربع ساعات من النهار في مركب النّيمسا، وهو منظم كثيراً وفي غاية الحسن، وهو يعمل بالدخان وبه دقلان، وفيه شرخان للسكان واحد في التفر[٢] والثاني قرب الدقل الأمامي[٣]، فوصلنا نبط سعيد يوم ثاني بعد طلوع الشمس بأربعين دقيقة. وهي بلدة مستجدة صغيرة، منفذ البحر المقطوع أوله من السويس وآخره في نبط سعيد، وفرع النيل متصل بها في تل من الحديد، وهذه البلد مجعولة مرسى للمراكب. والبيع والشراء بها قليل ماعدا الأكل وما تحتاج له المراكب. وليس فيها شيء من البساتين، وأغلب بيوتها خشب وقصب، وأغلب سكانها نصارى ويهود ما فيها غير مسجد واحد للمسلمين.

ورأينا فيها منارة للسراج ليهتدي إليها أهل المراكب، ويذكرون أنها صب حجر طولها مائتان وخمسة وتسعون رفصة[٤]. ورأينا فيها بيتاً

---

(١) ربما أراد أنهم يضعون صخوراً تحجز المياه.

(٢) هكذا، ولا يتضح المقصود.

(٣) في الأصل القدامي.

(٤) أي درجة من أدراج السلم.

صباً، كله حجر واحد. وذلك أنهم يأخذون الرمل ويعملونه ويصبونه ويكون كالحجر لا فرق بينه وبين الحجر. وطرقها جميعها منصوبة، وأسواقها على قدرها، وهي في زيادة من العمارة. وكل مركب بحر في البحر الجديد يسلم دراهم على قدره تبعاً للمركب في الصغر والكبر. و مدخوله في الشهر مائتا مليون فرنك. و الفرنك الواحد خمسة ريالات، والمليون ألف ألف، وذلك يأخذه الفرنسيس، الذين يقطعون البحر، في كل شهر، هكذا أخبرونا.

ثم سافرنا منها في عشر ساعات وعشرين دقيقة من يومنا. ومع خروجنا رأينا الكراكة[1] التي تحفر البحر، تكفي الحكمة، تحفر بالدخان و تعزل الطين وحده والماء وحده يخرج للبحر، ويبقى الطين فيها.

---

(١) الحفار.

الباب الثالث

في صفة أرض الشام وعجائبها

وقبور الأنبياء وبيت المقدس

ووصلنا يافا ثاني يوم، الساعة الثانية إلا اثنتي عشرة دقيقة في النهار يوم الأحد سادس من شهر جمادى الآخر. وهي بلدة صغيرة عليها سوران على بعضهما بعض، ومن بعدهما خندق. وهي متفردة بشكلها فوق جبل. والبيوت فوق بعضها البعض، وشيء من الطرق يوصل للغرف العالية. وبنيانها أغلبه بالحجارة المنحوتة. وفيها مدافع على الأسوار، وبنيان الأسوار مصفح بالحديد. وهي بلد قديمة وطرقها غير منصوبة وضيقة ووسخة، وفيها صعود وهبوط، وأغلب البيوت والأسواق سقوفها زج، وكثير من بنائها قوي. وعلى البحر عند الفرضة جبل دائري على البندر وله طرق لدخول المواشي[1]، وما تدخل المواشي إلا من مواضع معلومة، والنزول من الماشوة إلى النبط[2]. والمراكب ترسو بعيداً عن البلد.

وفيها بساتين خارج الخندق، وأغلبها نارنج، وهو البرتقان[3] وغيره من الفواكه. وفيها جملة بيارق للنصارى لأنها بندر القدس. ولابد من كل فريق أن يكون لهم بيرق[4]. ورأينا المحل الذي نزلت

---

(١) المواشي السفن ومفردها الماشوة.

(٢) الماشوة السفينة، والنبط الميناء فهو يذكر بورسعيد ويسميها نبط سعيد.

(٣) هكذا وردت، وواضح أنه يقصد البرتقال.

(٤) علم.

فيه المائدة لبني إسرائيل، عليه قبة وفيها مسجد جامع كبير يقال له جامع أبي أيوب، فيه أروقة وخذاوي[1]. وباقي المساجد صغار. والفواكه فيها رخيصة فالذي في مكة بعشرين في يافا بعشر الثمن.

وفيها كنيسة خارج البلد يدَّعون أنها موضع الخضر عليه السلام. ورأيناهم كيف يصلون في كنائسهم، أعني النصارى. صلاتهم قيام لا سجود لهم ولا ركوع، فبعضهم قيام على الأقدام يضعون متكئاً[2] تحت إبطهم الأيمن، وبعضهم يجثون على الركب. وصيامهم في السنة ثلاث مرات، مرتان من أربعين يوماً، ومرة خمسة عشر يوماً. والفواكه عندهم إذا أكلوها لا تنقض الصيام، ولا بأس بها. والمذكورون نصارى الشام من العرب ليس بينهم افرنج بل إنهم ملة واحدة، ولباسهم مثل المسلمين. ويتعجب الإنسان من أقوالهم وأفعالهم أغلبها موافقة للمسلمين.

واطلعت على تفسير كتبهم بها أحوال كثيرة موافقة للشريعة، وبها مواعظ وحكم. وعرفت الفرق بين القسيسين والرهبان، القسيسون يخالطون الناس في الكنائس وغيرها، والرهبان المنقطعون في

(١) الأروقة جمع رواق، والخلاوي جمع خلوة وهي أماكن العبادة المنعزلة.

(٢) ربما كان الحامل االخشبي الذي يستخدم مسنداً للكتب، ويسمى أحياناً بالمرفع.

الصوامع ولا يخالطون الناس. وأخبروني عن صفة ماء المعمودية فلا يكون نصرانياً من لم يغتسل بماء المعمودية، وذلك إذا ولد المولود أتاه القس بماء في إناء وقرأ عليه الإنجيل وما شاء من الأدعية، ووضأه كوضوء الصلاة ثم يغسله بذلك الماء، يفعل ذلك ثلاث مرات وبعد ذلك يكون نصرانياً طاهراً لا ينجسه شيء أبداً على زعمهم الفاسد. وعلى كل رأس شهر، يدخل القسيسون الكنيسة، وبعد صلاتهم يجعلون ماء في إناء ويقرؤون عليه ويدورون به على المنازل يرشون المنازل، ومن لم يحضر الكنيسة من النساء والأطفال وغيرهم.

وأعلى درجة معهم البطارقة وهم أكبر القسيسين والرهبان، وجميع أحكامهم في مذاهبهم ترجع إلى البطارقة. والنصارى المذكورون يذكرون أنهم يستنجون من البول والغائط، وكذلك الجنابة لها استنجاء خاص وليس غسل تام. وهم ينكرون على باقي النصارى ويخطئونهم لأنا اجتمعنا بواحد من المتفقهين في دينهم ورأينا منه الإحسان التام، ليته كان مسلماً. ورأينا عندهم جواري سود، وسألناهم عن ذلك، فقالوا: معنا جائز البيع والشراء في الرقيق. قلنا: كيف يمنع الإنجليز ذلك؟ قالوا: فعلهم مخالف للإنجيل، لأن الإنجيل محلل بيع الرقيق، بل الذي يدخل في ديننا نكره بيعه لأنه قد

دخل في الدين وصار مثلنا، وذلك لا يخرجه من الرق بل نكره بيعه وهو ليس بحرام مطلقاً.

سافرنا من يافا إلى بيت المقدس على خيل في يوم الثلاثاء تاسع شهر جمادى الآخر وأخذنا في الطريق اثنتي عشرة ساعة وربعاً، مدة السير. وكراء الدواب ثمانية ريالات ونصف ينقص قليلاً. وأغلب الطريق عمار ومزارع وشجر وزيتون، آية من كثرته حتى في الجبال. والسلك يسايرنا في الطريق إلى بيت المقدس. والطريق كلها مخدومة[1] تصعد الجبل كما تصعدها الدواب والبهائم، حيث يحملونها إلى جبال عالية جداً. والطريق فيها مقامات ومهاوي للاستراحة. وجبال المقدس أغلبها بيض بيرة مخضرة بخلاف جبال الأماكن الباقية، إلى أن وصلنا مدينة المقدس. وهي مدينة كبيرة عليها سور كبير، وأرضها طلوع ونزول، ليست مستحبة، وخارج البلد فيها بساتين وشيء من البيوت المنظمة الجديدة، وأما بيوت البلد بنفسها فهي قديمة وطرقها ليست على كل حال وهي بلد قديمة وأغلب سكانها يهود ونصارى والمسلمون بها قليل. وبلغنا أن المسلمين سكان المدينة ألفان والنصارى أربعة وعشرون ألفاً، واليهود أكثر من عدد النصارى. وفيها جملة كنائس.

---

(١) معبدة ومهيأة.

ووصلنا مسجد الأقصى بفضل الله وكرمه فرأينا حرماً كبيراً متسعاً عظيماً وفيه المسجد، وهو مسجد عظيم لا مثيل له، يعجز الوصف عن وصفه. وفيه محاريب الأنبياء عليهم السلام. ونزلنا أسفله ورأينا بناءه القديم الذي بناه النبي سليمان بن داود عليهما السلام، وهو بالحجارة. والبناء الثاني وضع على أساسه السابق، وكل محراب في محله على أساسه، هكذا اخبرونا. والمسجد فيه أبواب كبار وفي وسطه عالٍ مثل البندان على طوله، وآخر البندان قرب المحراب، فيه قبة عظيمة غاية في الزخرفة. وفيه جملة أعمدة بالرخام الملون وفيه شباك ورخوت ومدارج. ومقطوع منه جانب للنساء، وفي جوفه صريح ماء. وبعض مفروش بحجر الرخام، وبعضه بحجر غيره، وهو في جانب الحرم.

وفي وسط الحرم الصخرة، وعليها قبة عظيمة في غاية الحسن، وفي جوف القبة شباك، وفي وسط الصخرة، ولها درج تنزل تحتها وهي عظيمة وتحتها محرابان أحدهما لسيدنا داود عليه السلام، والثاني لسيدنا النبي سليمان عليه السلام، وموضع صلى فيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. ويذكرون أنها كانت متعلقة، والآن حولها بناء خفيف إذا ضربته يرتج، والله أعلم. وذكر سبب البناء أن

النساء الحوامل إذا دخلن تحتها يضعن حملهن من الخوف، فبنوا هذا البناء لأجل الاطمئنان.

وفي القبة آثار الأنبياء كثيرة من محاريبهم ومقاماتهم وغير ذلك على ما أخبرونا. وبجانب القبة قبة صغيرة غيرها في غاية الحسن، يذكرون أنها موضع السلسلة التي كانوا يقعدون عليها وفيها محراب. وهو موضع الحكومة الذي كان يقعد فيه نبي الله داود عليه السلام للحكومة.

ورأينا مهد سيدنا عيسى عليه السلام كذلك في الحرم، وهو في الأرض ينزل إليه من أراد زيارته في جانب من الحرم، على طوله مدارس ومواضع للمجاورين وفيه صهاريج ماء، وأخبرونا أنه كان فيه عين ماء تجري والآن انقطعت. وفي وسطه مواضع صغار للمتعلمين، وفيه جملة شجر زيتون وغيره. والحاصل أنه مسجد مبارك وحرم كبير غير أنه خراب، والمسجد مهجور كله وسخ من روث الحمام، إلا ما شاء الله تجده محلاً نظيفاً تصلي فيه.

ورأينا شيئا من البناء القديم من زمن سيدنا سليمان وداود عليهما السلام، وهذا البناء هو عبرة لمن اعتبر. ورأينا مربط البراق لما

آتي به النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء، هكذا أخبرونا. وكل موضع وأثر قديم فهو نازل في الأرض لابد من النزول له. وأغلب الآثار التي رأيناها هكذا.

وأما القبة التي فيها الصخرة فهي في وسط المسجد وفيها أربعة أبواب مصفحة، وهو كبير وفي وسطه القبة وفيه الصخرة، وعليه الشبابيك كما تقدم ولا تدخل من واحد إلا وتنزل، والثاني هو دائر على الصخرة. وهذا المسجد لا يبلغه الوصف لما فيه من الزخارف والنقوش وإتقان البناء القديم، وذلك من بناء بني أمية، كما بلغني فمن يرى تاريخ البناء من الزوار يجده مكتوباً على القبة سنة ٢٨٣ سنة[١]، فيكون من مدة البناء إلى الآن ألف وست سنين. ورأيت مصابيح في هذا المسجد ما رأيت مثلها فيما رأيت من المساجد، إذا أشرقت عليها الشمس ترى العجب من الألوان والأشكال.

وسور البلدة عال بني بالحجر المسحول العظام ويذكرون أن فيه شيئاً من بناء نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام. وأغلب البيوت مبنية بالحجر المسحول، والطرق كلها مفروشة بالحجر. وفيها جملة أسواق وعليها زج، وكذلك البيوت أغلبها زج.

---

(١) هكذا في الأصل. ومن المعلوم أن عصر بني أمية انتهى قبل هذا التاريخ بسقوط مروان بن محمد ومبايعة أبي العباس السفاح خليفة عام ١٣٢هـ، ليبدأ عصر الدولة العباسية.

وخارج السور في جانب البلد وادٍ عظيم، يذكرون أنه وادي النار وفيه مقابر اليهود، ما رأيت مقبرة أكبر منها. وفي الوادي بناء قديم وآثار قديمة لم يعطنا خبرها أحد. ومن جملة ذلك فيه قبة عالية متطاولة، وفيها باب أعلى من الأرض بمقدار قامتين يأتيها النصارى ويرمون في جوفها الحجارة، من غير تشبيه كرمي الجمار، وإذا امتلأت فرغوها، يذكرون أن طر طور[1] فرعون بأخبارهم.

ومن جملة هذه الآثار مواضع منحوتة في الجبل بعض منها كالمساكن. وطلعنا جبل الزيتون وهو بعد وادي النار، جبل عال سهل الطلوع، ورأينا فيه قبة يذكرون أن الله رفع سيدنا عيسى عليه السلام من هذه القبة، وفيها موضع في الوسط هو علامة لمحل رفعه منه. والنصارى لم يزالوا يترددون في ذلك الموضع تبركاً به، وفي بعض الأيام يفعلون عيداً عظيماً عند القبة هكذا أخبرونا. وعلى الجبل المذكور آثار قديمة فوارات[2]، منها فوار السيد محمد المعلم حامل رأية المسلمين، وسيدتنا رابعة العدوية رضي الله عنها، وسيدنا سلمان الفارسي والشهداء الأربعين.

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) هي الينابيع.

وما بين الجبل والبلاد في ناحية عن وادي النار من أعلاه قبر سيدتنا مريم بنت عمران، والآن في أيدي النصارى طلبوه من الدولة وعملوا عليه كنيسة وهو نازل في الأرض نحو خمسين درجة في القياس، وجعلوا فيه من الزينة شيئاً يفوق الوصف من أواني الذهب والفضة ومن قناديل ومغارز وغير ذلك. والقبر عليه حجر مثل الكهرب ومصورين صورة سيدتنا مريم وسيدنا عيسى عليهما السلام، ما شاء الله تلك الصور قاصر عليها الروح، وعليهم من اللباس ما شاء الله والشموع والقناديل مسروجة ليلاً ونهاراً. وفي بعض الأيام يصنعون عيداً عظيماً عندها.

وقبر سيدنا داود عليه السلام خارج عن السور من جانب الحرم في موضع فيه على صفة القبر كبير، قول أنه قبر سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام، وقول آخر انه محل كرسيه، مختلفون في ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم بصحة ذلك. وقول أنه دفن في غار قرب الصخرة، وقول عند أبيه وحجة من قال عند كرسيه أن الأنبياء يدفنون حيث ما كانوا ودليله الآية.

ودخلنا كنيسة النصارى القديمة التي هي من زمن الجاهلية المسماة بالقيامة وإذا فيها موضع، ورأينا فيها من الزينة والزخارف

وأواني الفضة والذهب من قناديل ومغارز مصفحة، وغير ذلك والتصاوير والتماثيل شيء عظيم. وزعمهم أنه الموضع الذي قتل فيه سيدنا عيسى عليه السلام، ما تركوا شيئاً من ذلك حتى الدم مصور، وموضع ما دفن صورة قبر على حجر مثل الكهرب وعليه شيء كثير مما ذكرته. وصورة سيدتنا مريم في صباها وعليها من اللباس والحلي والجواهر ما لا يوصف. الحاصل أن العقل لا يسع ما رأينا ويعجز الواصف عن وصفه.

ورأينا في هذه الكنائس نصارى الحبشة، ورأيناهم يصلون منهم القائم ومنهم المجافي على ركبتيه، وهم صموت على كثرتهم لم نسمع لهم حساً غير صوت القراءة. أما حراس هذه الكنيسة فهم مسلمون متوارثون لها من سابق، من مدة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه على هذه القاعدة. هو الذي أقامهم وأبقى هذه الكنيسة لهم كرامة لهم، لأنهم سلموا له البلد من غير حرب وأمر المسلمين أن يحرسوها لهم، وثبت ذلك على ما كان، هكذا أخبرونا. والقناديل والشموع لم تزل موقدة فيها ليلاً ونهاراً، وفيما أظن ليس عندهم كنائس أفخر من الذي رأيناها في القدس ولا أكثر مالاً منهن لأن جميع ملوكهم يهدي إليهم الأموال الجزيلة، هكذا أخبرونا. وكنائس

كثيرة في القدس ولكن الاعتماد عندهم على الذي ذكرناها.

واتفق لنا يوم الجمعة في القدس ورأينا المسلمين في صلاة الجمعة قليلين نحو أربعمائة إنسان يزيدون أو ينقصون، والمسجد خاوٍ، كأنها ليست بصلاة جمعة من قلة المسلمين في ذلك المحل، والله المستعان. بدأ الدين غريباً وسيعود كما بدأ. وقبر نبي الله العزير صلوات الله عليه خارج البلد، بعده عن البلد مقدار ساعة إلا ربع، وأن كهفه الذي كان يتعبد ويسكن فيه على حد قولهم قرب قبره.

وسيدنا موسى نبي الله الكليم، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، قبره بعيد عن البلد بمقدار أربع ساعات ونصف إلى خمس ساعات، وطريقه صعبة ومخيفة، والسير إليه بعسكر. ورأينا من كراماته حجراً في الموضع الذي هو فيه يشتعل مثل الفحم ويطبخون به، لأن تلك الجبال التي حوله عديمة الشجر ولا يتيسر الحطب للزوار، وربما لأجل ذلك صارت هذه الكرامة لمن أراد أن يوقد ناراً يأخذ بعض الحطيبات الصغار بقدر ما يشعل الحجر ويطبخ به ما شاء من المأكولات ويشوي به اللحم، والمراد إنه مثل الفحم وله رائحة النار. ورأيناه يشتعل عياناً ومع ذلك فإنه إذا خرج عن أرض القدس بطل عمله، والله تعالى أعلم.

وبالقرب من قبره قبر الراعي الذي كان يرعى غنم سيدنا موسى عليه السلام، و قبورهم في جوف المسجد في محل واحد، عليهم شبّاك.

وإذا طلعت جبل الزيتون ترى بحيرة ماء كبيرة جداً. ويُذكر أنها هي التي أهلك الله فيها قوم لوط عليه السلام، وحولها موضع المدائن المذكورة، والنصارى يقصدونها لأخذ الماء منها يتبركون به، ويصطحبونه إلى منازلهم.

ودخلنا كنيسة اليهود التي بالقدس وهي بخلاف كنيسة النصارى، رأينا فيها كراسي جملة وصناديق للكتب وفي وسطها مثل التابوت، وهو موضع القارئ. وفيها مثل المنبر وفي وسطه محراب وعلى المحراب ستارة مرخيّة. ويذكرون أنه في باطن هذا المحراب صورة النبي موسى عليه السلام. وأردنا أن نكشفه للتفرج عليه فمنعونا، يذكرون أنهم يكشفونه يوم السبت عند عبّادهم. وليس في هذه الكنيسة كثرة من الزينة مثل كنيسة النصارى.

ثم سافرنا من بيت القدس في ثماني ساعات إلا ربعاً إلى الخليل، فمر بنا في الطريق قبر نبي الله راحيل عليه السلام ابن يعقوب وهو

بيد اليهود. ومررنا على قرية تسمى بيت لحم فيها موضع مولد سيدنا عيسى عليه السلام وحيث ما وضعته أمه بعد الولادة، وموضع النخلة، وهو محل نازل في الأرض وهو بيد النصارى جاعلين عليه كنيسة كبيرة، وبها من البناء والزخارف والتماثيل غاية في الكثرة. وهذه البلد يذكرون أنها كلها نصارى ليس بها مسلمون أبداً. ومروا بنا على النبي متى والنبي يونس عليهما السلام. ووصلنا بلد الخليل بعد ساعة إلا ربعاً من اليوم الثاني من مسيرنا، وكان جملة السير خمس ساعات تزيد وتنقص. ورأينا مسجداً كبيراً ما شاء الله، وفيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام منهم نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام وزوجته سارة، والنبي إسحاق وزوجته رفقة، والنبي يعقوب وزوجته لايقة. هؤلاء في محل واحد في مغار من الجبل باطن المسجد وفي أعلى المغار التوابيت من المسجد المذكور فوق كل قبر تابوت، وفي مغار آخر من الجبل باطنه قبر نبي الله يوسف عليه السلام، وكذلك من خارجه تابوت في أعلاه. والغار الأول الذي فيه الخليل عليه السلام بابه مسدود بالرصاص بل له فرجة قَدْرُ الكوّة الصغيرة يزوره الناس منها، والأنوار تتلألأ في ذلك الغار.

وأما الغار الثاني فله طريق من جهة جانب المسجد. وأما نبي الله

لوط عليه السلام فقبره بعيد عن البلد بمقدار ساعة وربع ، ونبي الله العيص عليه السلام مسير ساعة ونصف عن البلد، ونبي الله نوح عليه والسلام مسير ساعتين عن البلد. وغار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مسير أربعين دقيقة عن البلد، وهو السرداب الشريف المشهور، وهذا المسجد يذكرون انه أول من بناه النبي سليمان بن داؤد عليهما السلام. وما رأيت صنعة أقوى منه بنياناً، فبناؤه بالحجر المنحوت، فذرعنا حجرة منه طولها ستة عشر ذراعاً بذراعنا وعرضها ذراعان ونصف، وذلك باق من بناء نبي الله سليمان عليه السلام. وفيه بركة كبيرة، والفلج من أعلاها، وهي على طريق المسجد في وسط الدرج. وهذه البلد كلها سكانها مسلمون أخيار ما رأيت مثلهم في تلك الأرض ونساؤهم مستورة لا تسمع لهن حساً ولا يُرى أحد منهن على الطريق أو الدرايش[1]، وإذا أُخرجت النسوة ففي غاية من الستر والتحفظ، لا يبين منهن شيء أبداً. والحاصل أن الرجال والنساء في تلك البلد كلهم أخيار وقليل مثلهم. وأما العلاجين فهم مثل البهائم، وجميع أشغالهم على نسائهم من بيع وشراء وغير ذلك، تراهم في الأسواق متزاحمين، الرجال والنساء. وبلادهم نيّره ولم يكن بها

(١) النوافذ.

من المشركين غيرهم سوى نفر قليل من اليهود خاصة، وهم في أتم الذُّل. وهذه البلدان كلها التي بقرب بيت المقدس بناؤها وطرقها وأسواقها وبيوتها على شكل واحد لا فرق بينها غير الكبر والصغر، وأما القرى الصغار فصفاتها ثانية.

ورأينا الجبال المنحوتة قريباً من القرية التي بها نبي الله العيص عليه السلام و كانت قديماً سكناً للأوائل يتعجب الناظر من صنعتها، والآن جعلوها مقابر يدفنون فيها موتاهم، هكذا أخبرونا. وتلك الأطراف بساتينهم كلها بستان واحد، يشبه بعضها بعضاً، والفواكه والمعاش كله رخيص فيها. وشجرهم الذي على الجبال يجعلون لها رفوفاً، كل طبقة أعلى من الطبقة الثانية، من زيتون وغيره. وفيها من الخيرات شيء كثير من الأشجار والمحاشي وغير ذلك. ومقام النبي زكريا عليه السلام بين بلد الخليل والرملة، وقيل قبره في غارٍ تحت المسجد في ذلك المحل، والله أعلم.

وأما نبي الله صالح عليه السلام فهو في مدينة الرملة في جامع كبير، وذلك الجامع طبقتان؛ طبقة من تحت الأرض وطبقة أعلاها، وفي باطن الطبقة السفلى مدفون بها أربعون نفراً من قوم النبي صالح عليه السلام وهم من المؤمنين، رحمهم الله. وهذا الجامع المذكور

كله خراب لم يبق غير بعض آثاره وحدوده. وهذه الرملة بلد بين يافا وبيت المقدس مسير ثلاث ساعات من يافا. وكذلك سيدنا الفضل ابن العباس مدفون في الرملة.

ورجعنا من بيت المقدس إلى يافا يوم تسع عشرة من جمادى الآخر، وكان وصولنا ذلك اليوم والحمد لله على بلوغنا الزيارة للأنبياء عليهم السلام والمقامات[1] الشريفة. ومن الخليل إلى يافا مسير خمسة عشر (ساعة) تقريباً، وسافرنا من يافا في تسع ساعات وتسع دقائق من يوم الثلاثين من جمادى الآخر، ووصلنا حيفا في ثلاث ساعات وخمس وعشرين دقيقة من الليل.

وسافرنا منها في أربع ساعات وخمس وأربعين دقيقة فوصلنا بلد بيروت في مقدار ساعة إلا ثلثاً من يوم الحادي والعشرين من الشهر المذكور، وذلك في بابور البحر؛ النيمسا. وبيروت هذه بندر من بنادر الشام، ولها شيفة[2] من البحر ومرساها كبير جيد تدخل المواشي[3] بين جبلين، وعلى الجبال بناء. وتكون المواشي كأنها في بركة ماء، لا موجة ولا سوجة. ويُنزل من المواشي بسهولة بغير تعب. وهي

(١) في الأصل الحانات، وربما أراد المحلات.

(٢) أي منظر بديع.

(٣) السفن.

بلدة طيبة فيها من المأكل الفاخر من الفواكه وغيرها شيء كثير. وأكثر سكانها نصارى ويهود، وبقدر الربع المسلمون فيها، والثلاثة الأرباع كفرة[١]. وفيها جملة أسواق وبيوت فاخرة وبساتين وأغلب طرقها مفروشة بالحجر، الحاصل أنها بلد حسنة وهواها صحيح. وفيها مقام نبي الله يحيى عليه السلام ويده الشريفة، هكذا أخبرونا. والمقام مجعول في مسجد جامع للجمعة منظم.

ثم توجهنا من بيروت إلى دمشق الشام وأخذنا في الطريق ثلاث عشرة ساعة إلا ثلثا في الكروسة، وهي عربة تجرها ستة رؤوس من الخيل، وهي تحمل خمسة عشر نفراً أعلاها وأسفلها، وتبدل الخيل في خمسة عشر موضعاً، وكل موضع تقف فيه بقدر ساعة لحوائجنا من أكل وغيره. والذين يسيرون على البهائم يمكثون في الطريق ثلاثة أيام. وفي الطريق من البساتين والمزارع والأشجار والأنهار شيء كثير، وأكثر الطريق عمار والقليل فيها خراب. وفيها جملة قهاوي[٢] ومناخات. والتلغراف متصل من بيروت إلى دمشق. فلما وصلنا رأيناها مدينة عظيمة، وفيها جملة أسواق ومساجد وحمامات، شيءٌ كثيرٌ. وفي أسواقها شيءٌ كثير من بضائع وغيرها

(١) من الصعوبة قبول هذه الفكرة.

(٢) مقاهي.

من المآكل والمشارب والفواكه الفاخرة شيء لا يوصف. وحولها البساتين، والجبل دائر عليها محدق بها كلجة البحر. ويدور الجبل حول البساتين كالسور. وتسقيها سبعة أنهار كبار وتتفرق على جملة أنهار أصغر. وما رأيت بلداً مثلها، كثيرة المياه في كل بيت بركة أو بركتان، حتى في الطهاية[1] الماء يجري يغسل النجاسات إذا كان الإنسان في قضاء حاجة والماء يجري قدامه، وفي الطريق والأسواق وحيث ما كان يسير يرى الماء ينصب منه ومن الجدار، ومنه يكون في وسط البرك. وأغلب بيوتها على طبقة واحدة، النادر الذي هو طبقتان. وليس للبيوت شيفة[2] من الخارج بل مزينات من الداخل وأغلبها طين، مثل بيوت الشوانب[3] وبعضها من الحجر وطرقها أغلبها مفروشة بالحجارة.

وهي بلد قديمة من أقدم البلدان قاطبة. ورأينا المسجد الأموي وهو جامع كبير والسوق دائر به، وفي صرحه بركة ينصب الماء منها. ومن داخل بنيانه الذي من الصرح إلى المسجد صنابير[4] ينصب

---

(١) كأنه يريد دورات المياه.

(٢) منظر.

(٣) كلمة سواحلية تعني الضواحي. وهو يقارن ببيوت الضواحي في زنجبار.

(٤) استخدم كلمة بلايل وتعني في اللهجة العمانية الصنابير ومفردها بلولة.

منها الماء. وكذلك الأبواب التي له على الأسواق ينصب عندها الماء من كل جانب. وفيه خلاوي[1] كثيرة للمجاورين، وفيه منائر كبار؛ منها المنارة الشرقية ينزل عليها عيسى عليه الصلاة والسلام آخر الزمان، هكذا يذكرون، والله أعلم.

وعدد درج المنارة المذكورة مائتان وعشرون درجة، والثانية تسمى العروس، عريضة يصعدونها لقراءة المولد فيها. ويذكرون أن هذا المسجد كان كنيسة، ولما تولى المسلمون هدموها وبنوا فيها مسجداً، ولما صارت الخلافة لبني أمية هدموه وعمروه ثانية. وفي وسطه قبة يذكرون انه رأس يحيى نبي الله عليه السلام، وكذلك فيه موضع يذكرون انه مقام النبي هود عليه السلام، وقول قبره في غار تحت المسجد ومعه سبعون نبياً صلوات الله عليهم في ناحية منه.

وفي موضع منه يقولون أنه مقام نبي الله الخضر عليه السلام في خارج المسجد في ناحية من الصرح موضع خزانة يزيد بن معاوية، وحيث ما ترك رأس الحسين بن علي بن أبي طالب قول انه دفن في محله، وقول بمصر والله أعلم. وفي المحلين له قرار. وخارج البلد على حدود الجبل موضع يسمى الصالحية، وهي مقبرة

---

(١) جمع خلوة، وهي أماكن العبادة المنعزلة.

كبيرة، ويذكرون فيها جملة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولم يسموهم (لنا) جميعاً، والمسمى منهم ذو الكفل عليه السلام وعليه تابوت وقبة وفي أعلاه مقبرة غار أهل الكهف ربما كانوا يأؤون فيه، وغار للأولياء الأربعين.

وبين البلدين والصالحية قرار الأكراد الأيوبية، هؤلاء ينسبون إلى النبي أيوب عليه السلام، وهما قبران مكشوفان من جانب ومحشوان بالقطن؛ فواحد منهما مملوء والثاني غير مملوء. وإذا أمعنت النظر فيه فتنظر الرجل الميت على حاله، وهما آيتان من آيات الله تعالى.

وفي دمشق مزارات كثيرة منها سيدنا بلال الحبشي مؤذن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيدنا كعب بن أبيّ وطلحة والزبير ومعاوية الكبير ابن أبي سفيان ومعاوية الصغير بن يزيد بن معاوية، وقبر يزيد بن معاوية يرجمونه بالحجارة، وموجود على قبره من الحجارة شيء كثير وهو على الطريق، وولد سيدنا عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق، وأبي عبيدة عامر بن الجراح، ومقام سيدنا زين العابدين في ناحية من المسجد الأموي بقرب موضع رأس الحسين. ومنها قرار الشيخ محي الدين بن العربي والشيخ عبدالغني النابلسي،

والشيخ رسلان الدمشقي، وجملة مواضع فيها الشهداء، من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم ليسوا في موضع واحد بل في مواضع متفرقة، رضي الله عنهم وغفر لنا ولهم ولجميع المسلمين، آمين.

والحاصل أن دمشق الشام جنة الدنيا ويصدق فيها قول من قال في وصفها شعراً:

عرِّج ركَابكَ عنْ دمشْقَ لأنَّها بلدٌ تذلُ لها الأسودُ وتخضعُ
ما بين جانبِها وبابِ بريدهــا بدرٌ يغيبُ وألفُ بدرٍ يطلــعُ

ومن كثرة الهواء لم ترق لنا في الوقت الذي وصلنا فيه، كأنها بلد وخيمة كثيراً، حتى وجدنا من أهل البلد جملة من المرضى. والحر عندهم كشدة البرد عندنا.

ورأينا فيها الكارخانات التي تعمل الطيق الشامي، وكذلك تصفية الحرير وبرمه وكل ذلك بالآلات. وسوق الصوغ(١) في البلد قرب المسجد الأموي ويقصده خلق كثير. والكروسة المقدم ذكرها مصنوع لها طريق في الجبل معوج، في الصعود والهبوط، يتعجب

(١) سوق الذهب.

الإنسان في سلوكه من صنعته. وكل يوم تسير مرتين من دمشق وبيروت؛ الصبح واحدة والرايح[1] واحدة. المراد أنها لا تنقطع فهذه ذاهبة وهذه آيبة فتلتقيان في وسط الطريق دائماً، وهما صنع الفرنسيس كانية. الحاصل أنها خدمة كبيرة وتحتاج إلى مغرم كثير، ودائماً يتعهدونها بالخدمة كل يوم. وما يمر أحد في هذه الطريق إلا بدراهم. ومن غير الكروسة هناك جوار جملة تحمل أموالاً جزيلة، بل إنها قد تمكث في الطريق ثلاثة أيام.

وما بين بيروت ودمشق يذكرون قبور أنبياء منهم إلياس وشيث عليهما السلام وهما في ناحية من الطريق، هكذا أخبرونا لأننا مررنا بعيداً عنها، ولم يمكن لنا الوصول إليها لحث[2] أهل الكروسة لا يمكنهم الانتظار، ولأجل ذلك صح لنا مانع، وقرأنا لهم الفاتحة من بعد، ونرجو من الله القبول.

وأذان أهل المسجد الأموي لم نر مثله. وهو أنهم يجتمعون في المنارة ويبتدئ أحدهم بالأذان ويتبعه الباقون على صوت واحد، وتستوي لهم ضجة عظيمة فوق المنارة. ويبدءون في التكبير من

(١) المساء.

(٢) لعجلة.

ستة ساعات من الليل أو الفجر تسمع لهم ضجة، وصلاتهم قبل استيفاء الأذان، وكل فرقة تصلي بإمامها وحدها كصلاة التراويح بمكة جماعات. الحاصل أن لهم أحوالاً مخالفة. وأما التدريس فجملة علماء يدرسون في المسجد ويجتمع خلق كثير في الصلاة وعند الدرس.

ويذكرون بأرض الشام جملة من الفرق المختلفة في المذاهب كلهم يدّعون الإسلام، منهم الدروز، والمناولة والنصيرية، والنور، وغيرهم. ولهم عقائد زائغة لم نقف على حقيقتها نسأل الله العافية.

ثم رجعنا من دمشق يوم رابع من شهر رجب من السنة المذكورة إلى بيروت، وركبنا البحر إلى نبط سعيد. وعدد البلدان من بيروت إلى يافا جملة على البحر منها حيفا وصيدا وعكا وصور، ويذكرون أنه بقرب يافا نبي الله روئيل بن يعقوب مسير ثلاث ساعات عنها. فلما وصلنا نبط سعيد أقمنا فيه أربع عشرة يوماً حابسين أنفسنا نرقب مركب الدولة من اسطنبول ولم يصل في هذه الأيام. وكان سبب ذلك رغبتنا الركوب في مراكب المسلمين.

ورأينا فيها كارخانات تعمل الحديد وآلة مراكب الدخان والكراكات التي تحفر البحر، والمحل الذي يصلحون فيه المراكب، وفيها

يصبون الحديد مثل الرصاص، وعندهم آلات تقطع الحديد وتبرمه وتسحله مثل الشمع ليس مثل الخشب بل الخشب أقوى منه وهو بارد بلا إدخال النار. تكفي حكمتهم. ولا تسمع له حساً وقت القطع. وشيء من الآلات تطرق الحديد وتشرخ الأخشاب وتقطعه للنجار، وهي تعمل بالنار. وهذه الكرخانات للفرنسيس.

ثم صعدنا المنارة التي فيها الفانوس وهي صب وفي بطنها سلم حديد، وطولها مائتان وتسعة وثمانون درجة، وفي الخارج خمس درجات والجملة مائتان وأربع وتسعون درجة. وفي أعلاها الفانوس الدوار طول الليل يدور ويشعل مثل الكوكب له لمعان بخلاف باقي الفوانيس التي تدور مثل الساعات. ويشعلونه من أسفل المنارة بالأدوات وكله بالنار. وفيها سلك من أعلاها إلى أسفلها يكلمون بعضهم بعضاً بالسلك.

رجعنا إلى ذكر ملوك الشام. أولهم معاوية بن أبي سفيان، تولى عشرين سنة، وتوفي ودفن بدمشق. ثم تولى بعده ولده يزيد بن معاوية، تولى ثلاث سنين وتوفي، ودفن بدمشق. ثم تولى من بعده معاوية بن يزيد وتولى أربعين يوماً، وتوفي ودفن بدمشق. ثم مروان بن الحكم، فعبد الملك بن مروان وتولى نيفاً وعشرين سنة، وتوفي

ودفن بدمشق. وخلفه من بعده الوليد بن عبد الملك بن مروان، ومات ودفن بدمشق. ثم من بعده عمر بن عبد العزيز، ومات ودفن بدمشق. رجعلنا إلى ذكر البحيرة.(١)

ورأينا بحيرة من المنارة وهي بين نبط سعيد ودمياط. وهذه البحيرة عليها جملة بلدان يسير الإنسان لها أياماً، وبحرها أقل من قامة الإنسان لا تسافر فيه غير السفن الصغار وليس لهن هيارب من أسفلهن ألواح وفيها آية من الصيد والطير، شيء كثير. ويذكرون أنها مؤجرة في كل سنة بستين ألف جني طبع مصر، من خمسة ريالات إلى ثلاثة لكل ريال، مدخولها لإسماعيل باشا والي مصر طرق من البحر الكبير.

ودمياط بلد يسير إليها القاصد من نبط سعيد في البحيرة والمسافة بينهما وضح(٢). ويسير لها كذلك من البحر الكبير ومن مصر في جاري الدخان، هكذا أخبرونا، والله أعلم.

ثم سافرنا من نبط سعيد إلى الإسماعيلية في ماشوة الدخان الكبيرة يسمونه مركب البوسطة، وكان سفرنا في البحر الجديد، وأخذنا في البحر ست ساعات تزيد وتنقص. ثم مشينا في الأماكن

---

(١) وردت هذه الفقرة في المخطوط الثالث ١١٢٤هـ، ورقة ٥٩ / ب ـ ٦٠ / أ.

(٢) الوضح مدة زمنية مخصوصة، ويستخدم في اللهجة العمانية لحساب أجر العمال. ينظر حمد بن محمد المرجبي، مغامر عماني في أدغال أفريقيا، (وزارة التراث والثقافة : ٢٠٠٦)، ترجمة د. محمد المحروقي، ط٢، ص ١٦٢.

التي رسونا بها من أجل الماء وراحة الركاب وقضاء حوائجهم، ورسونا في مكانين، والبحر الجديد في بعض الأماكن لا يتسع إلا لمرور مركب واحد لا زيادة. وبعض الأماكن متسع حد النظر، وهو في وسطه أوسع، وفي طرفيه أضيق، وإذا رميت حجراً يصل الجانب الآخر من غير تكلف، الحاصل أن الاتساع بقدر مرور مركب واحد. و هناك كراكات تحفر في هذا البحر وهم دائما في شغل، يتوقفون للحفر حيث يشاءون، ويعزلون الرمل وحده والحجر وحده. وإذا أراد مركب أن يمر في هذا المكان الضيق يعطي خبراً في تلغراف لئلا يقدم عليه مركب آخر من الجهة الأخرى ويصير التصادم.

والسلك مساير البحر الجديد والمكان المتسع أصله نازل، ولَّما قطعوه من الطرفين امتلأ بحراً فصار بحراً واسعاً، وبنى الفلاحون والصيادون على شواطئه جميعها. ومررنا على البحيرة المتقدم ذكرها ورأينا فيها آية من الطير، شيء لا يحصى ولا يعد، منه على الماء ومنه في السماء[1]، لأن البحر الجديد يمر بقربها.

ومن الإسماعيلية ركبنا في بابور الدخان البري إلى السويس، وفي يومنا وصلنا السويس صلاة العتمة، لأننا مكثنا بالإسماعيلية من

---

(١) في الأصل "ومنه طائر".

هذا السبب. والعجب في خدمة الكراكات حكمة بالغة لا توصف، وهي أشكال كثيرة ليست واحدة تشبه الأخرى؛ منها التي تحفر البحر من وسطه وتأتيها أخرى تحمل الطين وتلقيه في محل آخر، ومنها تحفر طرف البحر وترمى الطين بالآلة بعيداً عن البحر والآلة في نفس الكراكة. الحاصل أنها حكمة بالغة ولهن آلات كثيرة، وعمال كثر لمقابلة الشغل، وهي في أماكن كثيرة.

ويوم ثاني سافرنا من السويس في مركب إسماعيل باشا، وهو دخان اسمه الحديدة واسم قبطانه حافظ، وطاقمه كلهم أخيار كما ينبغي، فوصلنا بندر جدة يوم حادي والجمعة من شهر شعبان في ثماني ساعات من النهار ثم منها إلى مكة المشرفة. وبلغنا عن السلطان عبدالعزيز خان أن في دولته العثمانية عساكر كثيرون، من ذلك قول أنهم خمسة وعشرون لكاً، وقول ثمانية وعشرون لكاً. وقد رأينا خارج مدينة دمشق الشام خيام العساكر وأخبرونا في ذلك المحل عن عدد أقل يبلغون خمسة عشر ألف عسكري. وكل سنة يعملون قرعة في كل بلد من بلدانهم خلاف الحرمين والذي تخرج عليه القرعة يدخلونه في العسكرة إلى ست سنين، وبعد ذلك يكون رديفاً، وهو أن يرخصوا له يخدم على نفسه في بلده أو غيرها إلى

وقت الحاجة المهمة، ودائماً هكذا كل سنة. وبهذا السبب كثرت عساكرهم في سائر ممالكهم. نسأل الله أن ينصر دولة المسلمين.

وبلغنا أنه لما سافر إسماعيل باشا والي مصر إلى اسطنبول لمواجهة السلطان أهداه مليوني جني مصري من خمسة ريال عن عشرة مليون ريال غير الذي أهداه لأرباب الدولة، ومن السلاح ثمانين نفراً من الشكل الجديد، وصارت له وجاهة عظيمة، ورجع إلى مصر. وكان سفره من اسطنبول في الساعة الثامنة من الليل بلا علم من السلطان، وبعد سفره عزل الصدر الأعظم بسبب ذلك، كيف تركه يسافر وهو عنده علم بذلك، وربما كان في نفس السلطان شيء على إسماعيل باشا، وولوا مكانه مدحت باشا الذي كان والياً في بغداد ثم عزل ثم ولوا مكانه غيره، والله أعلم.

ومن أراد التوجه إلى مصر يأخذ معه البتنوا[1] لأجل كراء البوابير وخرجه. وفي القدس الشريف يأخذ معه ريالات مجيدية بيضاء، والزلط سائر بجده ومكة لخرجه. والذهب كله يخسر. وريال الفرنسة والمجيدي بينهما فرق عشرين ديواني لا زيادة، ليعلم الواقف على ذلك.

---

(١) هكذا في الأصل، ولعله يقصد نوعاً مخصوصاً من النقود.

الباب الرابع

فيما يتعلق بنول البوابير وشروطها وكراء الدواب لتحصل به الفائدة للمتأمل

نول بابور البحر من جدة إلى السويس أول لمبر[1] عشرون ريالاً للنفر[2] وثاني لمبر خمسة عشر ريال وثالث لمبر عشرة ريالات، وأكلهم على أنفسهم. ومدة السير من جدة إلى السويس أربعة أيام، ومن السويس إلى مصر في بابور أول لمبر جني ونصف، وثاني لمبر جني واحد، وثالث لمبر نصف جني. والمسافة من السويس إلى مصر ست ساعات وعشرون دقيقة. ومن مصر إلى مغاغة في بابور البر أول لمبر جني إلا ربعاً، وثالث لمبر نصف جني، والمسافة خمس ساعات وخمس دقائق، الذي هو مشي البابور غير مدة الإقامات.

وركبنا الخيل من مغاغة إلى بهنسا من غير كراء ومن مصر إلى الإسكندرية في بابور البر، أول لمبر جني ونصف، وثاني لمبر جني إلا ربعاً والثالث نصف جني، ومسافتها ثمان ساعات إلا خمس دقائق. ومن إسكندرية إلى يافا في بابور البحر، أول لمبر ستة جني، وثاني لمبر جني واحد، والمسافة ليلتان. ومن أراد التدقيق فليطالع الكتاب في محله.

---

(١) ربما كانت من الكلمة الإنجليزية number بمعنى رقم، وهنا يريد بها المستوى.

(٢) النفر الفرد عنده وفي الدارجة العمانية. وفي الفصحى هم الجماعة، يقول الشاعر:

أبا خراشة إما أنت ذا نفر   فإن قومي لم تأكلهم الضبع

ومن يافا إلى بيت المقدس براً على الدواب بكراء كل دابة ريالان إلا ربعاً، والمسافة اثنتا عشرة ساعة وربع . ومن بيت المقدس إلى الخليل ثم إلى يافا كراء كل دابة ثلاثة ريالات مع بعض المزارات، ومن يافا إلى بيروت في بابور البحر أول لمبر أربعة جني، وثاني لمبر جَنَيَان، وثالث لمبر نصف جني. والمسافة من يافا إلى بيروت ساعة ونصف، ومن بيروت إلى دمشق الشام براً في الكروسة وهي العربية[1] نول كل نفر جني، والمسافة ثلاث عشرة ساعة إلا ثلثا.

ومن بيروت إلى نبط سعيد في بابور البحر، أول لمبر ثمانية جني، ثاني لمبر أربعة جني إلا ربعاً، ثالث لمبر جني واحد. ومن نبط سعيد إلى الإسماعيلية ساعة في البحر الجديد في بابور البوسطة، أول لبمر جني، وثاني لمبر نصف جني. ومن الإسماعيلية إلى السويس في بابور البر، أول لمبر جني إلا ربعاً، والثالث جني إلا ربعاً، والجني المذكور عن أربعة ريالات وربع .

وشروط بوابير البحر المذكور الأول أن يكون الركاب قد دفعوا للضابطية ولدار الصحة ولدار الجمرك الرسومات المحدودة بقوانين ونظم البلد المسافر منها والمتوجه إليها. فقوله الضابطية

---

(١) لعلها السيارة.

يعني دار الحكومة، وقوله دار الصحة يعني دار الكرنتين، والجمرك هو موضع المعشر بحيث يكون مخلص نفسه. الثاني من الشروط أن يبروا[1] ويعطوا هذه التذكرة إلى القبطان عند نزولهم من البابور ويسلموها إليه عند خروجهم منه.

والثالث أن يحضروا إلى البابور مع عيشهم قبل الوقت المعين لقيامه بساعة، ومن غاب وتأخر عن ذلك الوقت وقام البابور وتركه لا يمكن له أن يطالب بالأجرة، إنما يكون له أن ينزل بالبابور الذي يعقب البابور الذي تركه بحيث يكون ملزوماً أن يخبر محل التوكيل سريعاً، ولا ترد له الأجرة مطلقاً. وإذا تأخر قيام البابور عن الوقت الذي تعين لسفره لا يكون لأحد حق في طلب بدل ضرر نظير ذلك التأخير.

الشرط الرابع الحذر أن يحمل أحد من الركاب أمولاً مهربة أو مكاتيب أو مظروفات أو ما أشبه ذلك، سواء كان وسط عفشهم أو على أبدانهم. وكل من ارتكب شيئاً من هذه المخالفات فإنه يدفع عن كل مكتوب أو مظروف عشرين قرشاً تعريفه، ويدفع نولاً مضاعفاً عن الأشياء ذات القيمة ضعف ما في التعريف. كذلك لا

---

(١) لعله اشتق فعلاً من كلمة البابور، أي يركبون البابور وهو القطار.

يسوغ للركاب أن يضعوا داخل عفشهم بضائع أو شيئاً ثميناً كالتحف والمجوهرات والحلي ونحو ذلك. لا يرخص للركاب خلاف ما هو مخصوص لذاتهم وإذا ظهر أن شيئاً مما ذكر مهربة داخل عفشهم تؤخذ منهم أجرتها مضاعفة.

الشرط الخامس العفش المرخص لكل راكب للدرجة الأولى خمسة قناطير، وللثانية ثلاثة قناطير، والثالثة قنطاران، وما زاد عن هذا المقدار يدفع عليه نولين باعتبار أجرة البضاعة والدرجة التي يكون بها. ويكون بيساتهم مع من يرفقهم، وإذا طلبوا فرشاً تماماً للولد الصغير فانه يدفع النول بالتمام، ويمكن على الولدين الصغيرين أن يأخذوا فرشاً واحداً، والأطفال الذين من سن سنتين لا يؤخذ عنهم أجرة أبداً.

السادس أكل ركاب الدرجة الثالثة من عندهم، وركاب الدرجة الأولى والثانية يأكلون من اللوكانتة المصلَّحة[١] وهي موضع الأكل.

السابع من الشروط أن لا تضمن البوسطة عفش الركاب من الضياع إلا إذا سلمه للوكيل وأخذ منه بوليصة يتعين بها قيمته.

---

(١) أي المطعم، والمصلَّحة أي المعدّة لهذا الغرض.

ولا تضمن أيضاً النقود والحلي والمجوهرات التي تكون ضمن عفش الركاب فلأجل اطمئنانهم يجرون تسليمه عند نزولهم البابور إلى الضابط الموكل بأمور الركاب ويعطيهم بما سلمه. ومشروط أن النقود التي يحملها كل مسافر لا تزيد عن خمسمائة ريال، وأما الحجاج ركاب الدرجة الأولى أربعمائة ريال والدرجة الثانية مائتا ريال، والحجاج حدهم أن يحملوا ألف ريال، وما زاد عن ذلك يدفع عليه أجرة باعتبار واحد على ريال، واثنين على المائة إذا صار إخفاؤه واستكشف عليه.

الشرط الثامن، أنه ممنوع كلياً حمل أسلحة نارية أو جارحة أو باروت أو رصاص أو مواد قابلة للإحراق والفرقعة، ومن كان معه شيء فملزوم أن يخبر القبطان قبل نزوله البابور وتسليمه له حالاً، وعند خروجه يرده عليه، وإلا فلا سبيل لدخوله في البابور.

الشرط التاسع، كل راكب ملزوم بأن يتبع الأصول. والأنظمة الموضوعة للبابور معلقة بالقمرة الكبيرة، وبسائر البابور، من خالفها عادت عليه العواقب. ومن الممنوع ترك الكلاب والحيوانات الأليفة مطلقة في القمرات أو غيرها بل يصير ربطها في البروة[1]، وأصحابها

---

(١) لعله موضع خاص للحيوانات في القطار.

يدفعون نولها عند نزولها. وكذلك بوابير البرليس فيها مراجعة في الدراهم بعد قبضهم إياها كما قدمنا ذكر ذلك. والكراء بحسب أقوالهم ليس فيه مراجعة في النقص، وإن أعطيت الكراء أعطوك ورقة بالشروط. والبوابير المذكورة هي مراكب الدخان وجواري الدخان. والجني المذكور عن أربعة ريالات وربع فضة.

الباب الخامس

في ذكر مزارات قبور الأنبياء عليهم السلام والصحابة والأولياء وغيرهم ممن تقدم ذكرهم في الكتاب

(نعيد ذكر المزارات هنا) ليسهل على من طالعه واحتاج إليه.

أما مزارات الأنبياء عليهم السلام فأما أولاد النبي الطاهر والطيب بالطائف وأما حواء عليها السلام بجدة، ونبي الله دانيال عليه السلام بالإسكندرية وكذلك ذو القرنين، ونبي الله صالح عليه السلام وأربعون من قومه بالرملة وهي بين بيت المقدس ويافا، ونبي الله روئيل عليه السلام بقرب يافا مسير ثلاث ساعات، عنها والسيدة مريم بنت عمران عليها السلام ما بين جبل الزيتون وحرم بيت المقدس، ونبي الله سليمان بن داود عليهما السلام ببيت المقدس مختلف في قبره، قيل إنه محل كرسيه هناك، وقيل عند قبر أبيه داود عليه السلام، وقيل في القبة قرب الصخرة، وهذه الأقوال كلها في بيت المقدس خارج عن البلد مقدار ساعة إلا ربعاً، وكهفه قرب قبره الذي كان يتعبد فيه أو كان يسكنه فالله تعالى أعلم. وسيدنا موسى الكليم عليه السلام قبره ببيت المقدس بعيداً عن البلد بأربع ساعات ونصف إلى خمس ساعات، والراعي الذي كان يرعى له الغنم قربه بناحية عنه، وأولاد نبي الله هارون عليه السلام في باطن مسجد بيت المقدس، والخليل راحيل يعقوب عليهما السلام بقرب بيت المقدس، ونبي الله إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة والنبي يعقوب عليهم السلام وزوجته

لايقة، والنبي يوسف الصديق عليه السلام الجميع في مدينة الخليل من أرض المقدس في محل واحد في غار تحت المسجد. ونبي الله لوط عليه السلام بعيداً عن مدينة الخليل بقدر ساعة وربع، وأما نبي الله العيص عليه السلام بعده مقدار ساعة ونصف عن مدينة الخليل، ونبي الله نوح عليه السلام بينه وبين الخليل والرملة وقيل هو محل قبره في غار تحت المسجد، ويد سيدنا يحيى عليه السلام ابن زكريا في بيروت، ورأسه بدمشق الشام في المسجد الأموي، ومقام النبي هود عليه السلام وقيل قبره ومعه سبعون نبياً عليهم الصلاة والسلام تحت مسجد في غار بدمشق الشام، وفي المسجد المذكور موضع قيل انه مقام نبي الله الخضر عليه السلام، ونبي الله ذو الكفل عليه السلام في محل يقال له الصالحية بدمشق الشام ومعه جملة من الأنبياء لم نعرف أسماءهم، عليهم الصلاة والسلام. ويوجد ما بين بيروت ودمشق سيدنا إلياس ونبي الله شيث عليهما السلام.

وأما ذكر الصحابة رضي الله عنهم فسيدنا عبدالله العباس بالطائف ومحمد بن الحنفية وهو ابن علي بن أبي طالب بالطائف وسيدنا زيد بن ثابت بالطائف ومعه اثني عشر من الصحابة الشهداء بالطائف، والسيدة خديجة الكبرى أم المؤمنين بمكة، وسيدنا عبدالرحمن بن

أبي بكر الصديق بمكة بالمعلا، وسيدنا عبدالله بن الزبير بن العوام بمكة بالمعلا، وسيدنا عبدالله بن عمر بن الخطاب بمكة وسيدنا العباس ابن مرداس السلمي بمكة وسيدنا عتاب بن أسيد بمكة بالمعلا. وسيدنا أبو هريرة رضي الله عنه في البهنسا بمصر وسيدنا عمرو بن العاص بمصر، ورأس سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب بمصر، وله مزار بدمشق، وسيدنا محمد المعلم حامل راية المسلمين في جبل الزيتون وسيدنا سلمان الفارسي والشهداء الأربعون بجبل الزيتون بالقدس، وسيدنا بلال الحبشي بدمشق، وسيدنا الفضل بن العباس بالرملة بين يافا والقدس وسيدنا كعب بن أبيّ، وسيدنا أبو عبيدة عامر بن الجراح، وسيدنا طلحة وسيدنا الزبير، ومعاوية بن أبي سفيان كل هؤلاء بدمشق الشام، ومحمد وسيدنا عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بدمشق وجملة من الصحابة بدمشق في مواضع متفرقة والسيدة زينب بنت علي بن أبي طالب بمصر.

وأما ذكر الأولياء الصالحين فالإمام الشافعي رحمه الله بمصر والسيدة نفيسة بمصر والسيدة سكينة بنت الحسين بمصر والشيخ أحمد البدوي بطنطا من أرض مصر والشيخ إبراهيم الدسوقي بدسوق من أرض مصر، والشيخ عمر بن الفارض بمصر، والإمام

البوصيري بالإسكندرية وهو ناظم البردة والهمزية. وبأرض مصر ما لا يحصى من قبور الأولياء والعلماء والصالحين. والسيدة رابعة العدوية بجبل الزيتون بالقدس والشيخ عبدالغني النابلسي والشيخ محيي الدين بن عربي، والشيخ رسلان كل هؤلاء بدمشق الشام بمحل اسمه الصالحية، وبمدينة دمشق الأكراد الأيوبية والمنسوبون لنبي الله أيوب عليه السلام، ومعاوية الصغير بل ومعاوية الكبير بدمشق الشام. وبها يزيد ومعاوية أيضاً.

وأما ذكر محلات المزارات وغيرها، فموضع نزول المائدة بيافا من أرض الشام، ومهد سيدنا عيسى عليه السلام ببيت المقدس، وموضع السلسلة التي كانت مدت لنبي الله داود عليه السلام يحلفون عندها ببيت المقدس ويبرئ الأرواح كذلك هناك بزعمهم، ومربط براق النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء ببيت المقدس. وفي جبل الزيتون من أرض القدس الموضع الذي رفع الله منه نبيه عيسى عليه السلام إلى السماء، وفي مصر سجن النبي يوسف عليه السلام، وهي بئر كبيرة عميقة في القلعة، في جبل سيدنا موسى عليه السلام قرب بيت المقدس حجارة الجبل إذا أوقدها الإنسان تشتعل مثل الفَحم، والبحيرة التي اغرق الله فيها قوم لوط عليه السلام تُرى

من جبل الزيتون، وهي آية من آيات الله تعالى. وموضع ولادة[1] سيدنا عيسى عليه السلام في قرية بين بيت المقدس ومدينة الخليل تسمى بيت لحم وموضع النخلة التي هزتها السيدة مريم عليها السلام أيضاً عنده غار الأنبياء، بمدينة الخليل بمقدار أربعين دقيقة عن البلد وهو السرداب الشريف المشهور. وغار أهل الكهف بالصالحية من أرض دمشق الشام على الجبل هو محل عبادتهم، وبقربه غار الأولياء الأربعين.

وإلى هنا انتهينا ما تم لنا من السياحة مما شاهدناه وبالسماع نقلناه، ونسأل الله حسن الخاتمة في البدء، والمختتم. وما قصدت غير نفع إخوتي المسلمين. ثم أعلم أيها الواقف على كتابي هذا والمتأمل فيما نقلته من المسلمين والإخوان في الله، فلا تسيء بنا الظن في دخولنا بيوت الأصنام مواضع الملاهي لأني لم اقصد بذلك اللهو ومعصية الله تعالى، أعوذ بالله من ذلك. وفي الحديث إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى. فأما الانتيكة قصدنا دخولها لأجل الاعتبار برؤية صور أمم الماضين، وعظم أجسامهم وقوة صنائعهم وما أشبه ذلك، والكنائس أردنا أن نطلع على ما فيها وكيف صفة عبادة أهلها

(١) في الأصل: "وموضع ما ولد".

حتى نحيط علماً بذلك، ونزداد شكراً لله على نعمة الإسلام. وموضع الملاهي قصدنا التفرج على البساتين وكيفية أشجارها وأنهارها، ورأينا ما رأينا بها بغير قصد إلى ذلك فحسن الظن بالمسلمين أحب. وكما لا يخفى عليكم ما جاء في الآثار إنما حرم على المسلم لحمه ودمه وأن يظن به السوء، والله علام الغيوب. وأنا أستغفر الله تعالى وأتوب إليه من كل ما وقع مني غير موافق للحق والصواب، وأسأل الله الإعانة والتوفيق على طاعته لما يجب ويرضى عني مدّة عمري. وصلى الله على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون وكلما غفل عن ذلك الغافلون، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

بيان بالذين توجهوا في أشغالنا وخدمونا في البلدان مدة السياحة

بيان بالذين توجهوا في أشغالنا وخدمونا في البلدان مدة السياحة أحببنا ذكرهم تذكرة، وربما تبدو لنا حاجة إليهم[1]. في السويس السيد هاشم يوسف بمعرفة الشيخ محمد بن يوسف باناجي بجدة، في مصر الشيخ عبدالله بن سعيد باسالم الحضرمي والشيخ صالح بن محمد باعيسى الحضرمي شيخ التجار بمعرفته. في الإسكندرية الحاج سعد الله اخوته بمعرفة محمد بن يوسف باناجي أيضا. في نبط سعيد الخواجه ميخائيل خورى بمعروفة المذكور. في يافا الخواجه يوسف الدباس وأولاده بمعرفة باناجة. في القدس الحاج يوسف حب الرمان والمزور الشيخ الدنف بمعرفة الخواجه يوسف الدباس. وفي مدينة الخليل الشيخ عبد الفتاح شيخ المدرسين وإخوانه. في بيروت السيد محمد الظلمات بمعرفة بالخاجى. في دمشق الشامخ والشيخ محمد بن راشد الجلاد، والشيخ سعيد الغبره المدرس في الجامع الاموى بمعرفة السيد محمد الظلمات.

وعند إتمام كتابته وضوع[2] فرائد بشارته قال يقرضه الشيخ أحمد

(١) وردت هذه المادة مرتبطة بالفصل السابق، وقد أفردنا لها باباً لاختلافها وإبرازاً لمضمونها.
(٢) انتشار الأريج.

بن محمد بن أحمد الخضرواي المكي الهاشمي شعرا[1]:

أجواهرٌ سطعتْ برحلةِ ماجدِ   يرقا إلى العليا والمحاسن
أم هي شموس بالفضائل أشرقت   للبوسعيدي ناقد المعادن
قــد فــاز بـالـزيــارة والـمنــا   لأنبياء وكلٍّ حبر قاطن
كم في السياحة نـال كـل فضيلـة   وهي التي لحمود في التباين
هـــو ســيد للفكــر جلــب همَّــه   فوق السمك وفوق كل مراهن
تم الكتـاب وقــال فــي إرشــاده   بشراك يا مولاي بالتباين
وبـدرِّكَ المنظــو م قلــت مبشــراً   ترقًا إلى العلياء والمحاسن

قال غيره في وصف الكتاب ومؤلفه شعراً:

فمنْ كانَ مسعاهُ كمسعى بنِ أحمدِ   فذاك إلي طُرْقِ الهدايةِ يهتدي
له همــَّةٌ في كلٍّ ما كانَ راجعــــاً   لطاعةِ مولاهُ وفي دينِ أحمدِ
بـــدتْ عـــبرٌ منـــهُ لنا في كتابِـهِ   تليّن قلباً كانَ قاسٍ كجلمدِ

(١) وهي قصيدة ركيكة المعاني مضطربة الوزن، تبدأ ببيت يمكن أن ينسب إلى البحر الكامل، ثم تخرج عنه باضطراب شديد في الوزن وتكرار ركيك للألفاظ، ولولا الأمانة العلمية لحذفناها. وربما جر إليها قلم الناسخ مزيداً من الأخطاء.

يخبرُ عَنْ أهلِ الأراضي أميرُنا ... لما ساحَ فيها فدفدا بعدَ فدفدِ
ركوباً على متن الجواري يجوبُها ... بوخذِ وشيكِ السيرِ ليسَ بجلمدِ
وطوراً على قلبِ العتاقِ محملاً ... إذا ما علا يوما بصهوةِ أجردِ
تباري النعامَ الربدَ بالسيِّدِ الذي ... له الفخرُ في العليا على كلِّ سيِّدِ
أتانا بأخبارِ القرونِ التي مضتْ ... وما كانَ من تشييدهمْ والتشدُّدِ
وطافَ مقاماتِ النبيينَ زائراً ... قبورَهمُ والصحبَ من كُلِّ مهتدِ
ونالَ بهمْ قربى وكلَّ فضيلةٍ ... علتْ في السما من دونِها برجُ الجدي
فما سمعتْ أذنيَّ شخصاً كمثلهِ ... ولا نظرتْ عينايَ يوماً بمشهدِ
عجائبُ صنعِ الأولين كتابُه ... حواها وأحصاها وكانَ بمحصدِ
وما قد رأى في الآخرين عجائباً ... تضمَّنَ ما أملاهَ من فكرِ أمجدِ
مواعظُ عمَّ النفعُ [1] منها لكلِّ منْ ... له القلبُ واعٍ خائفاً من توعدِ
فسماهُ دراً وهو درٌّ منضدٌ ... بسلكِ حسنِ النظمِ في جيدِ أغيدِ

---

(١) كتبت السمع ثم شطبت وكُتب أعلاها النفع .

إذا نَشـــرتْ أوراقهٌ ضـــاعَ عَرفهُ ... وضاءَ بليلٍ حالكِ اللونِ أسودِ

وبشرى لمنْ يقراهُ إن كانَ خاشعاً ... على عبرةٍ يتلو بقلبِ موَّحِدِ

صلاةٌ وتســـليمٌ مدى الدَّهــرِ كلِّهِ ... من الباري للهادي النبي محمدِ

تم الكتاب بعون الله الملك الوهاب ليلة الثلاثاء من الأيام، ليلة ٢٤ من شهر الحج الأكبر سنة ١٣١٥ من الهجرة الإسلامية النبوية على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام. بقلم الحقير المقرّ بالذنب والتقصير زهران بن سيف الريامي، بيده. نسخته للشيخ الأجل الوفي الأكمل الأخ عبدالله بن ناصر بن سليمان اللمكي، رزقه الله حفظه. آمين يا رب العالمين.

المحتويات

تم بحمد الله

ص.ب : ٦٦٨ ــ الرمز البريدي : ١١٣ مسقط

رقم الإيداع: ٣٧٥ / ٢٠٠٦م

مصمم الغلاف: حمود الراشدي